

الفصل الخامس

ومضات من حياة المهاجرين

أولاً : هجرة من النيران

ثانياً : هجرة تعيس

ثالثاً : هجرة مدمن

رابعاً : هجرة مريضة

خامساً : هجرة تحت السماء

سادساً : هجرة متأخرة

سابعاً : هجرة من القبر

ثامناً : هجرة غافل

obbeikandi.com

ومضات من حياة المهاجرين :

أيها الأحباب الكرام - المهاجرون إلى الله تعالى- هنا في هذه الأسطر القليلة نقتبس من حياة هؤلاء السابقين المهاجرين إلى الله تعالى، نأخذ من حياتهم دروساً وعبراً عظيمة بعد أن تعلمنا، كيف هاجر النبي ﷺ ، وكيف كان هناك مهاجرون، صلوات ربي وسلامه عليك يا خير الخلق، وحبيب الحق، كيف وأن الهجرة جعلت الكثير من المهاجرين والأنصار، وجعلت تابعين للمهاجرين، وتابعين للأنصار . وكل منا يحاول إما أن يكون مهاجراً، أو أن يجمع بين أخلاق المهاجرين وبين أخلاق الأنصار.

فالمهاجر بطبيعته مجاهد مكافح ويحاول أن يكمل مسيرته وقد تربص له المتربصون لكنه لم يضعف، وكاد له الكائدون لكنه لم يخضع لهم ويخشع، وإنما علم أن له رباً كريماً، وعلم أن له ناصرًا عظيمًا، وعلم أن الله تعالى سياتخذ بيده عند الشدائد:

لقد رأينا قلب المؤمن، ورأينا صدقه وإنابته، ورأينا رغبة المؤمن فيما عند الله تعالى، فقال الله تعالى واصفاً لنبيه يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (يوسف: ٣٣).

قال يوسف مستعيذاً من شرهن ومكرهن: يارب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه من عمل الفاحشة، فإن لم تدفع عني مكرهن؛ أمل إليهن وأكن من السفهاء الذين يرتكبون الإثم بجهلهم .

ولتعلم أخي المهاجر أنه : كلما تعرضت إليك مصيبة فإن غيرك تعرض لأشد منها، وكلما جاءك ابتلاء فإن ابتلاء غيرك أقوى ؛ ولذلك قال الرسول الكريم ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه «مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: الاستغفار عن المسألة، رقم: ١٤٦٩.

فهيأ معى أئى المهاجر نتجول فى بساتين المهاجرين نقتطف منها زهور العزومة؁ وفاكهة الصبر؁ و نتعلم كيف اتأذوا قرار الهجرة؁ وكيف ساروا؁ وكيف كانت حياتهم؁ وهل وقفوا أمام عقبات طريقتهم؁ وكيف كان حالهم ؟ إن من يآاور الصالحين يتعلم منهم الصلاح؁ ومن يآالس العلماء يأخذ عنهم علمهم فءعوننا نآاور المهاجرين؁ لعلنا نأاجر معهم فى رحلتهم المباركة ونفلح كالذين فلهوا وفازوا بمرادهم .

وهذه بعض من الومضات واللمحات والعبرات من حياة المهاجرين؁ لنكون منهم ومعهم؁ ومن لم يستطع أن يكون منهم فليكن معهم فى هجرتهم .

هآرات عظيمة :

أولا : هآرة من النيران

* يوسف إسلام :

رفض كل مغريات الدنيا بكل شهرتها وشهواتها؁ هرب من ظلمة هذا العالم إلى وهآ الإيمان وضيائه؁ فوجد فيه الهناء والطمأنينة... إنها قصة الفنان البريطانى الذى ضربت شهرته الآفاق "ستيفن ديمترى آيورآيو"؁ أو الملقب بـ(كات ستيفنز) والذى أصبح بعد إسلامه (يوسف إسلام). وهو من ظل فى بحثه الدائم عن المطلق والحق؁ "فمرّ بتآارب عدة أشرف فيها على الموت المحقق ورآه رؤية العين - كما الناس جميعا - واستوقفته تلك المواقف التى كانت من أسباب توجهه للبحث عن (.. طريق...دين.. إلى الله.. إلى ذاته .. وإلى الكون....) قدر له الله أن تأسره البوذية بملائكيتها ولكنها لم تدم ؛ إذ أدرك أنه بشر. ثم هداه الله تعالى إلى الإسلام حيث وجد الحرية المطلقة للإنسان فى العبودية لله تعالى....ووجد سلم الإنسان للارتقاء إلى الملاء الأعلى فترك الدنيا وذهب للبحث والتأكد من الطريق.. ثم التعمق والإدراك.."^(١).

وها هو يروى بنفسه فى هذه السطور القادمة؁ كيف كان حاله؁ وكيف كانت هآرته.

(١) نبذة عن " يوسف إسلام " موسوعة ويكيبيديا؁ الموسوعة الحرة .

(ولدتُ في لندن قلب العالم الغربي، ولدتُ في عصر التليفزيون وارتداد الفضاء، ولدتُ في عصر وصلت فيه التكنولوجيا إلى القمة في بلد معروف بحضارته "بريطانيا"، ترعرعتُ في هذا المجتمع، وتعلمت في مدرسة (كاثوليكية)، حيث علمتني المفهوم المسيحي (النصراني)، للحياة والعقيدة، وعرفت ما يفترض أن أعرفه عن الله تعالى، وعن المسيح عليه السلام، والقدر، والخير والشر، حدثوني كثيرًا عن الله، وقليلًا عن المسيح، وأقل من ذلك عن الروح القدس. كانت الحياة حولي مادية تنصبُّ من كل أجهزة الإعلام، حيث كانوا يعلموننا بأن الغنى هو الثروة الحقيقية، والفقر: هو الضياع الحقيقي، وأن الأمريكي: هو المثل للغنى، والعالم الثالث: هو المثل للفقر والمجاعة والجهل والضياع! ولذلك لا بدَّ أن أختار طريق الغنى، وأسلك مسلكه، لأعيش حياة سعيدة، وأفوز بنعيم الحياة، ولهذا فقد بنيت فلسفة حياتي على أنها لا علاقة لها بالدين، وانتهجت هذه الفلسفة؛ لأدرك سعادة النفس.

وبدأت أنظر إلى وسائل النجاح، وكانت أسهل طريقة أن أشتري (جيتارًا)، وأؤلف بعض الأغاني وألحنها، وأنطلق بين الناس، وهذا ما فعلته بالفعل باسم (كات ستيفنز).

وخلال فترة قصيرة حيث كنت في الثامنة عشر من عمري، كان لي ثمانية شرائط مسجلة، وبدأت أقدم الكثير من العروض، وأجمع الكثير من المال حتى وصلت إلى القمة!

وعندما كنتُ في القمة، كنت أنظر إلى الأسفل؛ خوفًا من السقوط! وبدأ القلق يتتابني، وبدأت أشرب الخمر في كل يوم بشراهة، لأستجمع الشجاعة؛ كي أغني، كنت أشعر أن الناس حولي يلبسون أقنعة، ولا يكشف أحد عن وجهه القناع - قناع الحقيقة - وكان لا بدَّ من النفاق، حتى تبيع وتكسب وحتى تعيش، وشعرت أن هذا ضلال، وبدأت أكره حياتي، واعتزلت الناس، وأصابني المرض، فنقلتُ إلى المستشفى مريضًا بالسل، وكانت فترة المستشفى خيرًا لي حيث إنها قادتني إلى التفكير.

كان عندي إيمان بالله، ولكن الكنيسة لم تعرّفني بمن هو الإله، وعجزت عن إيصال حقيقة هذا الإله .

كانت الفكرة غامضة، وبدأت أفكر في طريقي إلى حياة جديدة، فكنت أبحث عن الحقيقة، وانتابني شعور أن أتجه إلى غاية ما، ولكنني لا أدرك كنهها ولا مفهومها، ولم أقتنع أن أظل جالسًا خالي الذهن، بل بدأت أفكر وأبحث عن السعادة التي لم أجدّها في الغنى، ولا في الشهرة، ولا في القمة، ولا في الكنيسة، فطرقت باب (البوذية والفلسفة الصينية) فدرستها، وظننت أن السعادة هي أن تتبأ بما يحدث في الغد حتى تتجنب شره، فصرت قدرّيًا، وآمنت بالنجوم، والتنبؤ بالطالع، ولكنني وجدت أن ذلك كله هُراء.

ثم انتقلت إلى الشيوعية؛ ظنًا مني أن الخير هو أن نقسم ثروات هذا العالم على كل الناس، ولكنني شعرت أن الشيوعية لا تتفق مع الفطرة، فالعدل أن تحصل على عائد مجهودك، ولا يعود جهدك إلى شخص آخر.

ثم اتجهت إلى تعاطي العقاقير المهدئة، لأقطع هذه السلسلة القاسية من التفكير والحيرة. وبعد فترة ظننت أنه ليس هناك عقيدة تعطيني الإجابة، وتظهر لي الحقيقة التي أبحث عنها، ويثبت حيث لم أكن آنذاك أعرف شيئًا عن الإسلام، فبقيت على معتقدي الأول الذي تعلمته من الكنيسة حيث أيقنت أن هذه المعتقدات هراء.

عدت إليها ثانية، وعكفت من جديد على تأليف الموسيقي، وشعرت أنها هي ديني، ولا دين لي سواها!

وحاولت الإخلاص لهذا الدين، فاجتهدت للتأليف وللموسيقى، وانطلاقًا من الفكر الغربي المستمد من تعاليم الكنيسة الذي يوحى للإنسان أنه قد يكون كاملاً كالإله إذا أتقن عمله وأخلص له وأحبه!!

وفي عام ١٩٧٥م حدثت المعجزة، بعد أن قدّم لي شقيقي الأكبر نسخة من القرآن الكريم كهدية، وبقيت معي هذه النسخة حتى زرت القدس في فلسطين، ومن تلك الزيارة بدأت أعطني بذلك الكتاب الذي أهدانيه أخي،

والذي لا أعرف ما بداخله وما يتحدث عنه؟! ثم بحثت عن ترجمة للقرآن الكريم بعد زيارتي للقدس، وكانت المرة الأولى التي أفكر فيها عن الإسلام؛ فالإسلام في نظر الغرب يُعْتَبَرُ عنصرياً عرقياً، والمسلمون أغراب أجانب سواء كانوا عرباً أم أتراكاً، ووالدي كان من أصل يوناني، واليوناني يكره التركي المسلم؛ لذلك كان المفروض أن أكره القرآن الذي يدين به الأتراك بدافع الوراثة، ولكنني رأيت أن أطلع عليه - ترجمة القرآن الكريم - فلا مانع من أن أطلع على ما فيه.

ومن أول وهلة شعرت أن القرآن الذي يبدأ بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) وليس باسم غير الله، وعبارة (بسم الله الرحمن الرحيم) كانت مؤثرة في نفسي، ثم تستمر فاتحة الكتاب: (الحمد لله رب العالمين) كل الحمد لله خالق العالمين، ورب المخلوقات.

وحتى ذلك الوقت كانت فكري ضئيلة عن الإله، حيث كانوا يقولون لي: إن الله الواحد، مقسم إلى ثلاثة، كيف؟! لا أدري.

وكانوا يقولون لي: إن إلهنا، ليس إله اليهود...!!

أما القرآن الكريم، فقد بدأ بعبادة الله الواحد رب العالمين جميعاً، مؤكداً وحدانية الخالق، فليس له شريك يقتسم معه القوة، وهذا أيضاً مفهوم جديد، فقد كنت أفهم قبل معرفتي بالقرآن الكريم، أن هناك قوى قادرة على المعجزات، أما بمفهوم الإسلام، فإن الله وحده هو القادر على كل شيء.

واقترن ذلك الإيذان باليوم الآخر، وأن الحياة الآخرة خالدة، فالإنسان ليس كتلة مادية من لحم وعظم تتحول يوماً إلى رماد كما يقول علماء الحياة، بل إن ما تفعله في هذه الحياة يحدد الحالة التي ستكون عليها في الحياة الآخرة.

ويقول "يوسف إسلام": إن القرآن هو الذي دعاني للإسلام، فأجبت دعوته، أما الكنسية فهي التي حطمتني، وجلبت لي التعاسة والعناء فهي التي أرسلتني لهذا القرآن، عندما عجزت عن الإجابة على تساؤلات النفس والروح.

ولقد لاحظت في القرآن الكريم شيئاً غريباً، هو أنه لا يشبه باقي الكتب المقدسة ، فهو لا يتكوّن من مقاطع، وأوصاف كما توجد في كتب الديانات الأخرى التي قرأتها، كما لم يكن على غلاف القرآن الكريم اسم مؤلف، ولهذا أيقنت بمفهوم الوحي الذي أوحى الله به إلى هذا النبي المرسل.

لقد تبين لي الفارق بين القرآن الكريم وبين الإنجيل الذي كتب على أيدي مؤلفين مختلفين من قصص متعددة.

حاولت أن أبحث عن أخطاء في القرآن الكريم، ولكنني لم أجده، كان كله منسجماً مع فكرة الوحدانية الخالصة^(١).

وبدأت أعرف ما الإسلام.

لم يكن القرآن الكريم رسالة واحدة، بل وجدت فيه كل أسماء الأنبياء الذين شرفهم الله وكرمهم، ولم يفرق بين أحد منهم، وكان هذا المفهوم منطقياً، فلو أنك آمنت بنبي دون آخر، فإنك تكون قد دمرت وحدة الرسالات .

ومن ذلك الحين فهمتُ، كيف تسلسلت الرسالات منذ بدء الخليقة، وأن الناس على مدى التاريخ كانوا صنفين: إما مؤمن، وإما كافر .

لقد أجاب القرآن الكريم على كل تساؤلاتي، وبذلك شعرت بالسعادة - سعادة العثور على الحقيقة.

وبعد قراءة القرآن الكريم كله، خلال عام كامل، بدأت أطبق الأفكار التي قرأتها فيه، فشعرت في ذلك الوقت أنني المسلم الوحيد في العالم.

ثم فكرت كيف أكون مسلماً حقيقياً؟ فاتجهت إلى مسجد لندن، وأشهرت إسلامي، وقلت: (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله).

(١) قرأ " يوسف إسلام " ترجمة معاني القرآن، ولم يقرأ القرآن بلغته التي نزل بها، فكيف لو قرأ لغته التي نزل بها من عند الله؟!

حين ذلك أيقنت أن الإسلام الذي اعتنفته رسالة ثقيلة، وليس عملاً سهلاً ينتهي بنطق الشهادة.

لقد ولدتُ من جديد! وعرفتُ إلى أين أسير مع إخواني من عباد الله المسلمين، ولم أقابل أحداً منهم من قبل، ولو قابلت مسلماً يُحاول أن يدعوني للإسلام لرفضت دعوته بسبب أحوال المسلمين (المزرية)، وما تشوّهه أجهزة إعلامنا في الغرب، بل وأجهزة الإعلام الإسلامية أيضاً.. فكثيراً ما تشوّه الحقائق الإسلامية.. وكثيراً ما تقف وتؤيد افتراءات أعداء الإسلام العاجزين عن إصلاح شعوبهم والتي تدمرهم الآن الأمراض الأخلاقية، والاجتماعية.. وغيرها!!

لقد اتجهتُ للإسلام من أفضل مصادره، وهو القرآن الكريم، ثم بدأت أدرس سيرة الرسول ﷺ، وكيف كان سلوكه وخلقه، وكيف علم المسلمين الإسلام، فأدرت الثروة الهائلة في حياة الرسول ﷺ، وسننه، لقد نسيت الموسيقى، وسألت إخواني: هل أستمّر؟ فنصحوني بالتوقف؛ فالموسيقى تشغل عن ذكر الله، وهذا خطر عظيم.

لقد رأيت شباباً يهجرون أهلهم، ويعيشون في جو الأغاني والموسيقى، وهذا لا يرضاه الإسلام الذي يحث على بناء الرجال، أما الملايين التي كسبتها من عملي السابق (الغناء) فوهبتها كلها للدعوة الإسلامية.

هذه هي قصة المغني البريطاني المشهور، "كات ستيفنز" أو (يوسف إسلام) الذي رفض الدنيا بفتنها بعد أن هداه الله إلى طريق الحق.

ثانياً: هجرة تعيس :

ضيفنا هذه المرة شاب له قصة طويلة، لم يدع معصية صغيرة إلا فعلها، ولا كبيرة إلا ارتكبها، وكان ذلك بحثاً عن السعادة، ولكنه لم يجد إلا الشقاء والتعاسة.

أغلقت في وجهه جميع الأبواب إلا باباً واحداً، باب الله الذي لا يُغلق. فلجأ إلى الله وعاد إليه، وهنا وجد السعادة التي كان يبحث عنها.

وحدثنا بقصته، فقال:

نشأت في بيت (عادي) من بيوت المسلمين، وكنت أصلي الصلاة المعتادة، أرى الناس يذهبون إلى المسجد فأذهب معهم، ولم أكن - لصغر سني - أدرك قيمة الصلاة وأهميتها.

ولما كبرت قليلاً اشترى لي والدي سيارة، وكنت آنذاك في بداية المرحلة الثانوية، وكانت بداية الانطلاق.

وجاء دور رفقاء السوء؛ ليقضوا على ما تبقى لديّ من خير وفضيلة وصلاح!! فقد تعرفتُ على مجموعة منهم، وكنتُ الوحيد من بينهم الذي يملك سيارة، فتوليتُ القيادة، وكنتُ أغدو بهم وأروح، فصار كل واحد منا يظهر ما يوحي به إليه شيطانه من الأفكار والابتكارات، في فن الانحراف والمخدرات، وغيرها من فنون الفجور... فبدأت شيئاً فشيئاً أتعلم هذه الأمور.

وانتقلنا من الحي الذي كنا نقيم فيه إلى حي آخر، وهناك وجدت مجموعةً أخرى من الشباب، فتسلمت القيادة أيضاً، وما تركتُ معصية إلا ارتكبتها ابتداءً من صغار المعاصي، وانتهاءً بكبيرها من مخدرات ومسكرات حتى وصل بنا الحال بحثاً عن شرب الخمر في نهار رمضان، وكنا نفعل ذلك كله بحثاً عن السعادة الموهومة .

لقد كنتُ من أشد الناس عداوةً وبغضاً للملتزمين ، وكان لنا جار يقال له: (عبد الواحد) كنتُ أشد الناس عداوةً له؛ لأنه كان من المجتهدين في نصح الشباب في حيننا، فكان هدفنا الأول هو إيذاء هذا الرجل، وقد حاولنا ذلك كثيراً ولكننا لم نجد إليه سبيلاً .

مرّت أعوام طويلة، وأنا على هذه الحال، من التيه بين المخدرات وكل ما هو مشين أخلاقياً ودينياً... ، وغيرها حتى أنني تركتُ الدراسة، واتجهتُ إلى العمل، فإذا جاء آخر الشهر وتسلمتُ راتبي؛ صرفته كله على المخدرات.

وبعد فترة، منَّ الله تعالى على أخي الأصغر بالهداية والصلاح، فكان قدوة لنا في البيت في حسن المعاملة، فكنا نضايقه ونهدده! ونحذره! من مصاحبة "عبد الواحد" وغيره من الشباب الملتزمين، بل كنا نمنعه من تطبيق بعض شعائر الإسلام الظاهرة كإطلاق اللحية، وتقصير الثياب، فكان يُقابل إساءتنا هذه بالإحسان، ويردّ علينا بكلمات طيبة مثل (إن شاء الله) و(جزاكم الله خيراً) ونحوها، فبدأتُ أشعر بارتياح نحوه لحسن معاملته، وكانت هذه بداية التحول.

ثم جاء بعد ذلك دور "الشيخ عبد الواحد" فقد كان يجتهد في نصحننا، ويكثر من ذلك، فكنا نثير حوله المشكلات، ونحاول تشويه سمعته، واتهامه بما هو منه براء كذباً وبهتاناً.

وفي يوم من الأيام أشار أحد أصدقائي - وكان ذلك في بداية التزامه الديني - أن نذهب إلى مكة لأداء العمرة وبالفعل حدث ذلك، وبعد أدائنا العمرة، كنتُ مع أصحابي مجتمعين في أحد الشوارع، فمرَّ بنا الشيخ عبد الواحد بسيارته، فأخذنا نسبه ونشتمه، ونطلق عليه الألفاظ البذيئة فوقف، ثم عاد إلينا فقلنا هذه فرصة فلا بدَّ من ضربه والقضاء عليه، فنزل الشيخ من سيارته، وبادر قائلاً: السلام عليكم، ثم أقبل عليّ، وعانقني وضممني إلى صدره وقال: (الحمد لله على السلامة، وتقبل الله منا ومنك، ما شاء الله، أخذت عمرة..).. فخجلتُ خجلاً شديداً، وتغيرتُ ملامح وجهي، ثم سلّم على بقية الأصحاب، وسألهم عن أحوالهم، وكأنه لم يسمع كلمة واحدة مما قلناه، ومضى في طريقه، فأخذنا نلقي اللوم على أنفسنا بل وكل واحد منا يقول للآخر: أنت السبب، ومن تلك اللحظة بدأنا نحب هذا الرجل ونقدره ونحترمه، وتغيرت نظرتنا إليه .

وبعد فترة، رغبتُ في الالتحاق بالعسكرية، فاضطرتُّ إلى إجراء عملية جراحية؛ لعدة بي، ودخلتُ المستشفى فكان رفاقا السوء يزورونني فيؤذونني بشرب الدخان والكلام البذيء.

وفي المقابل كان "الشيخ عبد الواحد" يزورني، هو وبعض أصحابه، فكانوا يُقبّلون رأسي، ويُسمعونني كلمات يملؤها التفاؤل والأمل، فأصبحتُ أشعر بالارتياح بزيارتهم وجلسهم معي.

وفي إحدى الزيارات، سألتني أحدهم عن نومي، فأخبرتهم أنني لا أنام إلا بمخدر طبي، وأن عندي بعض المجلات والصحف والقصص التي أقرأ فيها حتى يأتي النوم الذي لا يأتي؛ فقال لي أحدهم: ليس لك علاج إلا القرآن الكريم، فطلبتُ منهم مصحفاً فأعطوني، وفي تلك الليلة قرأت سورة البقرة كاملة، فتمت مباشرة، وفي الليلة الثانية، قرأت سورة آل عمران، فتمتُ كذلك، ثم سألتني بعد ذلك عن حالي وعن نومي، فأخبرتهم أنني أصبحتُ أنام بارتياح.

خرجتُ من المستشفى، ومع أنني كنت أشعر بارتياح شديد لهؤلاء الشباب الطيبين الملتزمين، إلا أنني مازلتُ مع أولئك الأشرار الخبيثاء.

وفي يوم من الأيام، كنتُ على موعد مع فعل معصية، وكان ذلك الموعد في مكان بعيد في منطقة أخرى، ولم أكن بعد قد استعدت كامل صحتي بعد تلك العملية، ولكنني خاطرت، فركبت سيارتي، وانطلقتُ متوجهاً إلى تلك المنطقة، وفي الطريق انفجرت إحدى العجلات بقوة، فاضطرتُ إلى الخروج عن الطريق، والدخول في منطقة رملية.

كنتُ في تلك اللحظات أشعر بألم شديد من آثار تلك العملية الجراحية التي لا تزال آثارها باقية، حتى أنني أكاد أعجز عن حمل نفسي، وبصعوبة نزلتُ من السيارة وحاولت أن أرفعها، ولكنني كلما رفعتها سقطت - حاولت ذلك مراراً - ولكن دون جدوى، فلما يئست، وقفت على جانب الطريق، وحاولت أن أستعين ببعض المارة، ولكنهم لم يقفوا لمساعدتي.

واقتربت الشمس من الغروب، وأحسستُ بأنني وحيد في هذا المكان الموحش، فضاقتُ بي الدنيا، ولم أدر ما أفعل، وهنا لم أجد بداً من أن ألتجئ إلى الله ﷻ، ومن غير شعور، جثوت على ركبتي، ومددت يدي إلى الله ﷻ ودعوته

في تلك اللحظات أن يُفَرِّج همي، ويكشف كربتي، ولم يكن ذلك إلا بالفطرة والإخلاص. وعدتُ إلى سيارتي وبعد عدة محاولات تمكنت بعون الله تعالى من رفعها، وقمت بتبديل العجلة التالفة، وأخرجت السيارة، وقد أوشكت الشمس على الغروب.

وبعد هذا كله لم أتعظ، بل واصلتُ سيرتي طمعًا في فعل تلك المعصية، ولكن الله عصمني منها حيث فات الموعد، فصليتُ المغربَ هناك، ثم عدت من حيث أتيتُ، وبدأ أولئك الشباب الطيبون يكثرون من زيارتي، ويُلحُّون عليّ في حضور مجالسهم، فكنت أتردد عليهم وأجلس معهم، وكانت رائحة الدخان تفوح من ثيابي، ومن فمي، فلم يظهروا لي انزعاجهم من ذلك، بل كانوا يقتربون مني ويرحبون بي ثم (يطيبونني) ويمسحون عليّ يديّ بدهن العود، فكنت أستغرب عملهم هذا ومعاملتهم الطيبة .

كنتُ أجلس معهم من بعد صلاة المغرب إلى العشاء، وبعد صلاة العشاء أعود إلى أصحابي الآخرين (السيئين)، فأجلس معهم إلى الفجر فلا أسمع منهم إلا السب والشتم، والكلمات البذيئة، والألفاظ النابية، واستمر الحال على ذلك، أجلس مع هؤلاء ومع هؤلاء، مع ارتياحي لأولئك الطيبين لما أسمعهم منهم.

ثم جاءت الضربة القاضية، فقد بدأتُ أخطط للزواج، فتقدمتُ لخطبة فتاة ملتزمة، فخدعتُ أهلها وأقنعتهم بأني شاب صالح، أصلي وأخاف الله، ولكن الفتاة رفضت أن تتزوج إلا شابًا ملتزمًا، وحاولت إقناعها، ولكنها أصرت على موقفها، وقالت: لن أقبل إلا شابًا ملتزمًا، وكان مظهري لا يوحي بأنني شاب ملتزم، فأصبتُ بصدمة عنيفة، وقلت في نفسي: ما معنى (شاب ملتزم)؟!

وعدتُ إلى البيت، وأنا أفكر في قولها، وأقول في نفسي: لماذا لا أكون شابًا ملتزمًا؟! وألهمت في تلك اللحظة أن أكون كذلك... فذهبتُ إلى الشيخ عبدالواحد، وأخبرته بأنني سوف أبدأ حياة جديدة، وأكون شابًا مستقيمًا.

وبالفعل بدأت حياةً جديدةً، فابتعدتُ عن رفقاء السوء، الذين كانوا سبب شقائي وتعاستي، وأصبحتُ شابًا ملتزمًا - بفضل الله ﷻ - والآن قد مضى على التزامي - والله الحمد - خمس سنوات تقريبًا.

وأسأل الله تعالى أن يثبتني وإياكم على دينه، إنه سميع مجيب.

ثالثا : هجرة مدمن :

وهذه قصة شاب من ضحايا رفقاء السوء، كانت له صولات وجولات في عالم الانحراف والضياع إلى أن حدثت له حادثة أيقظته من غفلته، وأعادته إلى خالقه، وقد حدثنا عن قصته، فقال:

نشأتُ في بيت متدين جدًّا، في حي من أحياء مدينة الرياض، وكان والدي - رحمه الله - شديد التدين، فلم يكن يسمح بدخول أي شيء من آلات اللهو والفساد إلى البيت.

ومضت الأيام، وتجاوزت مرحلة الطفولة، ولما بلغت الرابعة عشر من عمري - وكنت في السنة الثانية من المرحلة المتوسطة - حدث في حياتي حادث كان سببًا في تعاستي وشقائي فترة من الزمن، فقد تعرفت على مجموعة من رفقاء السوء، الذين كانوا ينتظرون الفرصة المناسبة لإيقاعي في شباكهم^(١).

وجاءت الفرصة المناسبة (فترة الامتحانات)، فجاءوني بحبوب بيضاء منبهة، فكنت أسهر عددًا من الليالي المتواليات في المذاكرة دون أن يغلبني نعاسٌ، أو أشعر بحاجة إلى نوم، وانتهت الامتحانات، ونجحتُ بتفوق!

ولكنني بعد الامتحانات، داومت على تعاطي هذه الحبوب البيضاء، فأرهقني السهر، وتعبتُ تعبًا شديدًا، فجاءني أولئك (الشياطين)، وقدموا لي في هذه المرة حبوبًا حمراء (مخدرات)، وقالوا لي: إنها تطرد عني السهر، وتجلبُّ

(١) مصاحبة الأشرار، من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى الانحراف، والفساد، والبعد عن الله تعالى، والوقوع في المعاصي، والذنوب، وربما الكفر، وبالمقابل فإن مصاحبة الأخيار: من أعظم أسباب الهداية والصلاح، والقرب من الله، فالواجب الحذر من رفقاء السوء.

لي النوم والراحة، ولم أكن - لصغر سني - أدرك حقيقة هذه اللعبة، وهذا التآمر، وهذا المكر الخبيث من هؤلاء الشياطين (شياطين الإنس).

أخذت أتعاطى هذه الحبوب الحمراء يوميًا بجرعات كبيرة، وبقيتُ على هذا الحال ثلاث سنوات تقريبًا أو أكثر، وفشلت في دراستي، ولم أتمكن من إتمام المرحلة المتوسطة من الدراسة والحصول على شهادتها، فصرْتُ أُنقل من مدرسة إلى أخرى، ولكن دون جدوى، وبعد هذا الفشل الذي كان سببه هذه الحبوب المشنومة فكرتُ في الانتقال إلى مدينة أخرى، حيث يقيم عمي وأولاده في محاولة أخيرة لإتمام الدراسة.

وفي ليلة من ليالي الشتاء الباردة - وكان والدي قد اشترى سيارة جديدة، أخذت هذه السيارة دون علم والدي، واتجهتُ في تلك المدينة، وكنتُ أحمل في جيبِي كمية كبيرة من الحبوب الحمراء.

وفي الطريق توقفت عند بعض الأصدقاء، وفي تلك الليلة أسرفتُ في تناول هذه الحبوب حتى أصبحتُ في وضع يرثى له.

وقبيل الفجر، ركبْتُ السيارة وانطلقت في طريقي، وما هي إلا دقائق حتى غبتُ عن الدنيا، ولم أفق إلا وأنا في المستشفى في حالة سيئة، قد كسرت ساقِي اليمنى، وأصبت بجروح كثيرة، بعد أن مكثتُ في غرفة الإنعاش يومين كاملين، فقد كان حادثًا شنيعًا حيث دخلتُ بسيارتي تحت سيارة نقل كبيرة، ومن رحمة الله تعالى بي أن كتب لي الحياة من جديد، ومنحني فرصة جديدة، لعلِّي أتوب عمًا أنا فيه، ولكن شيئًا من ذلك لم يحدث.

نقلت من المستشفى إلى بيت والدي بالرياض، وفي البيت كنت أتعاطى هذه الحبوب النكدة أيضًا.

قد تسألني وتقول: كيف تحصل على هذه الحبوب، وأنت على فراش المرض؟

فأقول: لقد كان أولئك الشياطين يأتون إليَّ في البيت، فيعرضون علي بضاعتهم، فأشترى منهم بالرغم من حالتي السيئة.

وبقيتُ على هذا الحال أيامًا، حتى أحسست بتحسّن بسيط، وكانت فكرة السفر تراودني حتى تلك اللحظة؛ أملًا في إكمال دراستي المتوسطة.

وفي عصر أحد الأيام، وبعد أن تناولت كميةً كبيرة من هذه الحبوب، خرجت أتوكأ على عكازي، وأخذت أبحث عن سيارة تنقلني إلى المدينة، وحاولت أن أوقف عددًا من السيارات إلا أن أحدًا لم يقف لي، فذهبت إلى موقف سيارات الأجرة، واستأجرت سيارة أوصلتني إلى هناك.

وهناك، بادرت بالتسجيل في إحدى المدارس المتوسطة بعد جهود بذلها عمي وغيره في قبولي، وحصلتُ على شهادة الكفاءة، وكنت أثناء الدراسة مستمرًا في تعاطي تلك الحبوب، إلا أنني تركتُ المخدرات، ووقعتُ في شرب (الخمر)، وفي الوقت نفسه كنت أقوم بترويج تلك الحبوب الحمرء وبيعها بسعر مضاعف، ولم أكن أدرك فداحة هذا الأمر وخطورته، فقد كان همي هو جمع المال، ثم وقعتُ بعد ذلك في تناول الحشيش وإدمانه، فكنت أتعاطاه عن طريق التدخين، فكنت أذهب إلى المدرسة، وأنا في حالة هستيرية، فأرى الناس من حولي كأنهم ذباب أو حشرات صغيرة، لكنني لم أكن أتعرض لأحد، لأن من يتعاطى هذا البلاء يكون جبانًا يخاف من كل شيء.

بقيت على هذا الحال سنتين تقريبًا، وكنت آنذاك أسكن بمفردي في بيت يقع في مكان ناءٍ في طرف البلد.

وفي يوم من الأيام جاءني اثنان من شياطين الإنس الذين أعرفهم - وكان أحدهم متزوجًا - فأوقفت سيارتي وركبت معها، وكان ذلك بعد صلاة العصر، فأخذنا ندور في شوارع البلدة.

وبعد جولة دامت عدة ساعات، أوقفوني عند سيارتي، فركبتها واتجهت إلى البيت فلم أستطع الوصول إليه، فقد كنت في حالة سُكْرٍ شديد، وظللت مدة ساعتين أو أكثر أبحث عن البيت، فلم أجده!.

وفي نهاية المطاف وبعد جهد كبير وجدته، فلما رأته فرحتُ فرحًا شديدًا، فلما هممتُ بالنزول من السيارة أحسستُ بألم شديد في قلبي، وبصعوبة بالغة نزلت من سيارتي ودخلت البيت، وفي تلك اللحظات تذكرت الموت.

نعم، والله أيها الأخوة الأحباب لقد تذكرتُ الموت كأنه أمامي، يريد أن يهجم عليّ، ورأيت أشياء عجيبة أعجز عن وصفها، فقمْتُ مسرعًا ومن غير شعور، ودخلت دورة المياه وتوضأت، وبعد خروجي من الدورة عدت وتوضأت ثانية.. ثم أسرعْتُ إلى إحدى الغرف، وكبرت، ودخلت في الصلاة، وأتذكر أني قرأت في الركعة الأولى الفاتحة، و (قل هو الله أحد) ولا أتذكر ما قرأته في الركعة الثانية.

ولكن كل ما أهمني هو أن أؤدي تلك الصلاة بسرعة شديدة قبل أن أموت!!

وألقيت بنفسي على الأرض، على جنبي الأيسر، واستسلمت للموت، فتذكرت تلك اللحظات أنني سمعت أن الميت من الأفضل أن يوضع على جنبه الأيمن فتحولت إلى الجنب الأيمن، وأنا أحس بأن شيئًا ما يهز كياني هزًا عنيفًا.

ومرت في خاطري صور متلاحقة من سجل حياتي الحافل بالضياح والمجون، وأيقنت أن روحي قد أوشكت على الخروج .

ومرّت لحظات كنت أنتظر فيها الموت، وفجأة حرّكتُ قدمي فتحرّكتُ، ففرحتُ بذلك فرحًا شديدًا، ورأيت بصيصًا من الأمل يشع من بين تلك الظلمات الحالكة، فقمْتُ مسرعًا، وخرجت من البيت وركبت سيارتي، وتوجهت إلى بيت عمي.

دفعت الباب ودخلت، فوجدتهم مجتمعين يتناولون طعام العشاء، فألقيت بنفسي بينهم .

قام عمي فرعًا وسألني: ما بك!؟

فقلت له: إن قلبي يؤلمني.

فقام أحد أبناء عمي، وأخذني إلى المستشفى، وفي الطريق أخبرته بحالي، وأنني قد أسرفت في تعاطي ذلك البلاء، وطلبتُ منه أن يذهب بي إلى طبيب يعرفه، فذهب بي إلى مستوصف أهلي، فلما كشف عليّ الطبيب وجد حالتي في

غاية السوء، حيث بلغت نسبة الكحول في جسمي ٩٤٪ فامتنع عن علاجي، وقال لا بدّ من حضور رجال الشرطة، وبعد محاولات مستمرة، وإلحاح شديد، وإجراءات كثيرة وافق على علاجي، فقاموا بتخطيط للقلب، ثم بدءوا بعلاجي.

كان والدي في ذلك الوقت موجودًا في تلك المدينة، فلما علم أني في المستشفى جاء ليزورني، وقد رأيتُه واقفًا فوق رأسي، فلما شمّ رائحتي؛ ضاق صدره فخرج، ولم يتكلم.

أمضيت ليلة تحت العلاج، وقبل خروجي نصحني الطبيب بالابتعاد عن المخدرات، وأخبرني بأن حالتي سيئة جدًا.

وخرجت من المستشفى، وأحسست بأنني قد منحت حياة أخرى جديدة، وأن الله تعالى أراد بي خيرًا، فكننت فيما بعد كلما شممت رائحة الحشيش؛ أصابني مثل ما أصابني في تلك الليلة وتذكرت الموت، فأطفئ السيجارة، وكنتُ كلما نمت بالليل أشعر بأن أحداً يوقظني ويقول لي: قم، فأستيقظ وأنا أنتفض من الخوف، فأتذكر الموت والجنة، والنار والقبر، كما كنت أتذكر صاحبين لي من رفقاء السوء لقيّا حتفهما قبل وقت قصير، فأخاف أن يكون مصيري كمصيرهما، فكننت أقوم آخر الليل وأصلي ركعتين- ولم أكن أعرف صلاة الوتر في ذلك الحين- ثم بدأت أحافظ على الصلوات المفروضة، وكنتُ كلما شممت رائحة الحشيش، أو الدخان أتذكر الموت فأتركهما.

وبقيت على هذا الحال أربعة أشهر أو أكثر حتى قبض الله لي أحد الشباب الصالحين؛ فالتقني وأخذني معه إلى مكة المكرمة لأداء العمرة، وبعدها والله الحمد تبت إلى الله وعدت إليه.

ونصيحتني للشباب المسلم أن يحذروا كل الحذر من شياطين الإنس ورفقاء السوء، الذين كانوا سببًا في شقائي وتعاستي سنوات طويلة، ولولا رأفة الله ورحمته حيث أنقذني من بين أيديهم لكنت من الخاسرين.

وأسأل الله أن يتوب عليّ، وعلى جميع المذنبين والعاصين، إنه تواب رحيم.

رابعاً : هجرة مريضة :

(ليلي الحلوة) امرأة مغربية، أصيبت بالمرض الخبيث (السرطان)، فعجز الأطباء عن علاجها، ففقدت الأمل إلا بالله تعالى الذي لم تكن تعرفه من قبل، فتوجهت إليه في بيته الحرام، وهناك كان الشفاء.

والآن أخى الحبيب: أتركك مع الأخت ليلي، لتروي تفاصيل قصتها بنفسها، فتقول :

منذ تسع سنوات أصبْتُ بمرض خطير جداً، وهو مرض السرطان، والجميع يعرف أن هذا الاسم مخيف جداً، وهناك في المغرب لا نسميه السرطان، وإنما نسميه (الغول) أو (المرض الخبيث) .

وقد أصابني بالتاج الأيسر، وكان إيماني بالله ضعيفاً ، كنتُ غافلة عن الله تعالى، وكنت أظن أن جمال الإنسان يدوم طوال حياته، وأن شبابه وصحته كذلك، وما كنت أظن أبداً أني سأصاب بمرض خطير كالسرطان، فلما أصبْتُ بهذا المرض زلزلني زلزالاً شديداً، وفكرت في الهروب، ولكن إلى أين؟! ومرضي معي أينما كنت، فكرت في الانتحار، ولكني كنتُ أحب زوجي وأولادي، وما فكرت في عقاب الله إذا انتحرت؛ لأنني كنت غافلة عن الله تعالى، ولكن الله ﷻ أراد أن يهديني بهذا المرض، وأن يهدي بي كثيراً من الناس.

لما أصبْتُ بهذا المرض رحلت إلى بلجيكا، وزرت عدداً من الأطباء هناك، فقالوا لزوجي لا بدّ من إزالة الثدي، وبعد ذلك استعمال أدوية حادة تُسقط الشعر، وتزيل الرموش والحاجبين، وتعطي لحية على الوجه، كما تسقط الأظافر والأسنان، فرفضتُ رفضاً كلياً، وقلت: إنني أفضل أن أموت بشديي وشعري، وكل ما خلق الله لي ولا أشوّه، وطلبتُ من الأطباء أن يكتبوا لي علاجاً خفيفاً ففعلوا؛ فرجعتُ إلى المغرب، واستعملتُ الدواء فلم يؤثر عليّ ففرحتُ بذلك، وقلت في نفسي: لعل الأطباء قد أخطئوا، وأنني لم أصب بهذا المرض الخبيث (السرطان).

ولكن بعد ستة أشهر تقريبًا، بدأت أشعر بنقص في الوزن، كما أن لوني تغير كثيرًا، وكنت أحس بالآلام التي كانت معي دائمًا، فنصحني طبيبي في المغرب أن أتوجه إلى بلجيكا مرة أخرى، فتوجهت إلى هناك.

وهناك، كانت المصيبة، فقد قال الأطباء لزوجي: إن المرض قد عمّ، وأصببت الرثتان، وإنهم الآن ليس لديهم دواء لهذه الحالة، ثم قالوا لزوجي: من الأحسن أن تأخذ زوجتك إلى بلدها حتى تموت هناك.

فُجِعَ زوجي بما سمع، وبدلاً من الذهاب إلى المغرب، ذهبنا إلى فرنسا حيث ظننا أننا سنجد العلاج هناك، ولكننا لم نجد شيئاً أيضاً، وأخيراً حرصنا على أن نستعين بأحد الموجودين هناك لأدخل المستشفى، وأقطع ثديي، وأستعمل العلاج الحاد.

ولكن زوجي ذكر شيئاً كنا قد نسيناه، وغفلنا عنه طوال حياتنا، لقد أهدم الله زوجي أن نقوم بزيارة إلى بيت الله الحرام؛ لنقف بين يديه سبحانه ونسأله أن يكشف ما بنا من ضرّ، وذلك ما فعلنا.

خرجنا من باريس ونحن نهلل ونكبر، وفرحتُ كثيراً لأنني سأدخل بيت الله الحرام، وأرى الكعبة المشرفة، واشترتُ مصحفًا من مدينة باريس، وتوجهنا إلى مكة المكرمة .

وصلنا إلى بيت الله الحرام، فلما دخلنا ورأيتُ الكعبة بكيثُ كثيراً لأنني ندمت على ما فاتني من فرائض، وصلاة، وخشوع، وتضرع إلى الله تعالى، وقلت: يا ربّ، لقد استعصى علاجي على الأطباء، وأنت منك الداء ومنك الدواء، وقد أغلقتُ في وجهي جميع الأبواب، وليس لي إلا بابك فلا تغلقه في وجهي وطفّت حول بيت الله، وكنت أسأل الله كثيراً بالألحاح، وألا يخذلني.

وكما ذكرت آنفًا، فقد كنت غافلة عن الله تعالى، جاهلة بدين الله، فكنت أطوف على العلماء والمشايخ الموجودين هناك، وأسألهم أن يدلوني على كتب وأدعية سهلة وبسيطة؛ حتى أستفيد منها، فنصحوني كثيراً بتلاوة كتاب الله والتضلع بهاء زمزم، والتضلع هو: أن يشرب الإنسان حتى يشعر أن الماء قد وصل أضلاعه. كما نصحوني بالإكثار من ذكر الله والصلاة على رسوله ﷺ .

شعرت براحة نفسية كبيرة واطمئنان ، وأنا في حرم بيت الله تعالى ، فطلبتُ من زوجي أن يسمح لي بالبقاء في الحرم، وعدم الرجوع إلى الفندق فأذن لي .

وفي الحرم كان بجواري بعض الأخوات المصريات والتركيات كنَّ يرينني أبكي كثيرًا، فسألنني عن سبب بكائي فقلت: لأنني وصلتُ إلى بيت الله الحرام، وما كنت أظن أني سأحبه هذا الحب، وثانيًا لأنني مصابة بالسرطان؛ فلازمني ولم يكن يفارقني، فأخبرتني أنني معتكفة في بيت الله، فأخبرن أزواجهن ومكثن معي، فكنا لا ننام ، ولا نأكل من الطعام إلا القليل، لكننا نشرب كثيرًا من ماء زمزم، والنبى ﷺ، يقول: « مَاءُ زَمَزَمَ، لِمَا شَرِبَ لَهُ »^(١)؛ أي: إن شربته لتشفى شفاك الله، وإن شربته لظمئك قطعه الله، وإن شربته مستعيذًا أعادك الله، فقطع الله جوعنا، وكنا نطوف دون انقطاع، حيث نصلي ركعتين ثم نعاود الطواف، ونشرب من ماء زمزم، ونكثر من تلاوة القرآن الكريم ، وهكذا كنا في الليل والنهار لا ننام إلا قليلًا.

عندما وصلتُ إلى بيت الله كنت هزيلة جدًّا، وكان في نصفي الأعلى كثير من الكويرات والأورام، التي تؤكد أن السرطان قد عمَّ جسمي الأعلى، فكنتُ ينصحنني بغسل نصفي الأعلى بماء زمزم، ولكنني كنت أخاف أن ألمس تلك الأورام والكويرات، فأتذكر ذلك المرض فيشغلني ذلك عن ذكر الله تعالى وعبادته، فغسلته دون أن ألمس جسدي.

وفي اليوم الخامس ألحَّ عليَّ رفيقاتي أن أمسح جسدي بشيء من ماء زمزم، فرفضتُ في بداية الأمر، لكنني أحسستُ بقوة تدفعني إلى أن أخذ شيئًا من ماء زمزم، وأمسح بيدي على جسدي، فخفت في المرة الأولى، ثم أحسست بهذه القوة مرة ثانية، فترددت. ولكنني في المرة الثالثة ودون أن أشعر أخذت يديَّ ومسحت بهما جسدي وثديي الذي كان مملوءًا كله دمًا وصديدًا وكويرات، وحدث ما لم يكن في الحسبان، كل الكويرات ذهبت، ولم أجد شيئًا في جسدي، لا ألمًا، ولا دمًا، ولا صديدًا.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه ، كتاب: المناسك ، باب: الشرب من زمزم ، رقم الحديث:

فاندهشتُ في أول الأمر، فأدخلت يدي في قميصي لأبحث عما في جسدي فلم أجد شيئاً من تلك الأورام، فارتعشتُ، ولكن تذكرتُ أن الله تعالى على كل شيء قدير، فطلبت من إحدى رفيقاتي أن تلمس جسدي، وأن تبحث عن هذه الكويرات، فصحن كلهن دون شعور: الله أكبر .. الله أكبر.

فانطلقتُ لأخبر زوجي، ودخلتُ الفندق، فلما وقفتُ أمامه مزقتُ قميصي وأنا أقول له: انظر رحمة الله، وأخبرته بما حدث فلم يصدق ذلك، وأخذ يبكي ويصيح بصوت عالٍ ويقول: هل علمتِ أن الأطباء أقسموا على موتك بعد ثلاثة أسابيع فقط؟ فقلت له: إن الآجال بيد الله ﷻ، ولا يعلم الغيب إلا الله.

مكثنا في بيت الله أسبوعاً كاملاً، فكنتُ أحمد الله وأشكره على نعمه التي لا تُحصى، ثم زرنا المسجد النبوي بالمدينة المنورة، ورجعنا إلى فرنسا.

وهناك جار الأطباء في أمري، واندهشوا وكاد الجنون يأخذهم، وصاروا يسألونني هل أنت فلانة؟! فأقول لهم: نعم - بافتخار - وزوجي فلان، وقد رجعت إلى ربي، وما عدت أخاف من شيء إلا منه ﷻ، فالقضاء قضاء الله، والأمر أمره.

فقالوا لي: إن حالتك غريبة جداً، وإن الأورام قد زالت، فلا بد من إعادة الفحص.

أعادوا فحصي مرة ثانية، فلم يجدوا شيئاً وكنت من قبل لا أستطيع التنفس من تلك الأورام، ولكن عندما وصلت إلى بيت الله الحرام، وطلبت الشفاء من الله أذهب ذلك عني.

بعد ذلك كنتُ أبحث عن سيرة النبي ﷺ، وعن سيرة أصحابه - رضوان الله عليهم أجمعين - وأبكي كثيراً، كنت أبكي ندمًا على ما فاتني من حُبِّ الله ورسوله، وعلى تلك الأيام التي قضيتها بعيدة عن الله عز وجل.

وأسأل الله أن يقبلني وأن يتوب عليَّ وعلى زوجي وعلى جميع المسلمين.

خامسا : هجرة تحت الماء :

كنت في سيارتي على طريق ساحلي ، وعند أحد الجسور الموصلة إلى أحد الأحياء، فوجئت بصبي صغير يقطع أمامي الطريق .
فارتبكت، واختلت عجلة القيادة من يديّ
ولم أشعر إلا وأنا في أعماق المياه .
رفعت رأسي إلى أعلى لأجد متنفسًا .
ولكن الماء بدأ يغمر السيارة من جميع نواحيها.
مددت يديّ لأفتح الباب فلم يُفتح، هنا تأكدت أني هالك لا محالة .. وفي لحظات .. لعلها ثوان مرت أمام ذهني صور سريعة متلاحقة .. هي صور حياتي الحافلة بكل أنواع العبث والمجون .. وتمثل لي الماء شبعاً مخيفاً .
وأحاطت بي الظلمات كثيفة .. فانتابني فزع شديد.
يارب .. يارب ..
ودرت حول نفسي، ماذا ذراعيّ أطلب النجاة ..
لا .. من الموت، الذي أصبح محققاً .
بل من خطاياي التي حاصرتني ، وضيقت عليّ الخناق .
أحسست بقلبي يخفق بشدة ..
فعجلت باستغفار ربي قبل أن ألقاه .. أحسست أن كل ما حولي يضغط عليّ .
فقلت : إنها النهاية لا محالة ..
فنطقت بالشهادتين، وبدأت أستعد للموت، وحركت يديّ .
فإذا بها تنفذ في فراغ .. فراغ يمتد إلى خارج السيارة .
وفي الحال تذكرت أن زجاج السيارة الأمامي مكسور .
شاء الله أن ينكسر في حادث منذ ثلاثة أيام .

وقفزت دون تفكير.

ودفعت بنفسني من خلال هذا الفراغ.

خرجت من أعماق الماء، فإذا الأضواء تغمرني، وإذا بي خارج السيارة.

ونظرت، فإذا جمع من الناس يقفون على الشاطئ.

كانوا يصيحون بأصوات لم أتبينها.

ولما رءوني نزل اثنان منهم، وأخرجاني من الماء.

وقفت على الشاطئ مذهولاً مما حو لي .

غير مصدق أني نجوت من الموت، مذهولاً أنني الآن بين الأحياء حيّاً.

خرجت مولوداً جديداً.. لا يمت إلى الماضي بسبب من الأسباب.

أحسست برغبة في الركض بعيداً.. والهرب من هذا المكان.

هذا المكان الذي دفنت فيه الماضي الدنس.

ومضيت ..

مضيت إلى البيت إنساناً آخر غير الذي خرج قبل ساعات.

دخلت البيت.

وكان أول ما وقع عليه بصري صور معلقة على الحائط لمثلاث،

وراقصات، ومغنيات .

اندفعت إلى الصور أمزقها، ثم ارتميت على سريري أبكي.

ولأول مرة .. أبكي .. أحس بالندم .. أحس بالندم ..

الندم على ما فرطت في جنب الله ..

فأخذت الدموع تنساب في غزارة من عيني.

وأخذ جسمي يهتز، وبيننا أنا كذلك.

إذا بصوت لظالما سمعته وتجاهلته.

إنه صوت الأذان .. إنه صوت الأذان يجلجل في الفضاء .

وكأني أسمعه لأول مرة ..

وجلجلة الأذان في كل حيٍّ ولكن أي صوت من بلال

منائرکم علت في كل ساحٍ ومسجدكم من العبّاد خال

يقول : فانفضت واقفاً .. وتوضأت ..

وفي المسجد .. بعد أن أدت الصلاة .. أعلنت توبتي ..

سادسا : هجرة متأخرة :

يروى لنا بطل تلك الهجرة مأساته ، وكيف كانت هجرته :

بعد أن أنهيت دراستي الثانوية، عملت موظفًا في إحدى الشركات التجارية، وقد فصلت من العمل لكثرة تغيبي، وعدم انضباطي، عملت بعدها أعمالاً مختلفة من بناء ، وتجارة .. وغيرها؛ حتى استطعت أن أكوّن نفسي، وأجمع مبلغًا من المال.

وفي أحد الأيام .

عرض علي أحد الشباب فكرة السفر إلى إحدى الدول الآسيوية، وكان يروي لي مغامراته ومشاهداته، فقد كان يجاهر بالمعصية - والعياذ بالله - .

يقول الشاب: كان صاحبي يحدثني عن المتع المحرمة .. وكأنه يغريني بالسفر .. حتى عزمت على الأمر .. واستحوذ علي الشيطان .

فكان صاحبي أول المرشحين بي بل تكفل بشراء تذكرة السفر لي ، على أن أتكفل أنا هناك ببقية المصاريف، وسافرنا وهناك رأينا جموعًا من الشباب، الذين ليس لهم همٌّ إلا المتع المحرمة ، فتعلمت من أولئك الشباب التدخين .. وشرب الخمر .. ثم الزنا .. ثم تعاطي المخدرات .. بل وخضنا في كل الوحول القدرة .. حتى بلغنا الحضيض .. ثم عدنا.

وبعد فترة .. جمعنا مبلغًا آخر من المال، ثم سافرنا إلى بلد آخر، أشد فسادًا، وجربنا كل شيء ، وفي إحدى الليالي رفض أحد الشباب إعطائي حقنة المخدرات المعهودة .. فخرجت من الفندق ، وقابلت مجموعة من المروجين ..

فدعوني إلى مقرهم .. فذهبت معهم .. وعرضوا عليّ أنواعًا كثيرة من المخدرات .. كنت أجهل بعضها ومدى تأثيرها على الجسم .. وبعد تعاطي المخدرات ، والمسكرات ..

دعاني أحدهم إلى الغرفة المجاورة؛ لممارسة الزنا .. بعد أن أمرني بدفع الثمن مقدّمًا، وكنت في سكر شديد .. حيث لا أدري ما أصنع، فقبلت العرض ..

ولم أكن أدري أنني أسير إلى الهاوية ..

ثم بعد أيام .. عدنا من السفر، ومارست حياتي الطبيعية .. لكن شبح المخدرات كان يطاردني في كل مكان .

نصحتني بعض المخلصين بالتوجه إلى المستشفى لتلقي العلاج .. فوعدهم بالذهاب ، ولم أذهب .. توالى السفرات؛ لممارسة تلك الأعمال المشينة .. التي أصبحت جزءًا لا يتجزأ من حياتي البائسة المتدهورة .. حتى نفذت النقود؛ فاحترفت السرقة من هنا وهناك .. وتعلمت فنون النصب والاحتيال .. حتى أجمع لمتعي المحرمة .. وفجأة شعرت بوعكة صحيّة .. فذهبت إلى أحد المراكز الطبية ؛ بحثًا عن العلاج، وبعد تحليل عينة من دمي، أخبروني بأنني حامل لفيروس الإيدز!

فضاقت الدنيا في وجهي ..

يا للهول .. يا للمصيبة .. لقد ذهبت تلك اللذات .. وانقضت تلك المسرات .. فلم يبق لي إلا الآلام والحسرات .. على أصحاب لم ينفعونني .. واحسرتاه على أحباب لم يشفعوا لي .. يا حسرتاه .. يوم طال السهر، ولم أعد زائدًا للحفر.

يا حسرتاه .. على عمر مضى، وزمان ولى وانقضى، ولم أتقى فيه حرَّ لظى.
يا حسرتاه .. إذا كُشِفَ الديوان بخطايا اللسان، وزلات الجنان، وقبيح
العصيان.

يا حسرتاه .. إذا وُضِعَ الكتاب، ونُشِرَ ما فيه من خطأ وصواب.

يا حسرتاه .. على صلاة أضعتها، وزكاة منعتها، وأيام أفطرتها.

يا حسرتاه .. على أوقات أهدرتها .

يا حسرتاه .. على ذنوب ارتكبتها، وفواحش اقترفتها.

يا حسرتاه .. يوم لم يذكرك لساني، ولم تشكرك جوارحي.

يا حسرتاه .. يوم يفوز الصالحون بالدرجات .

يا حسرتاه .. يوم يهوى الظالمون في الدركات .

﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٠﴾ إِنَّا نَحْنُ
نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (مریم: ٣٩: ٤٠).

يقول الشاب : لقد ذهبت تلك اللذات، وانقضت تلك المسرات، فلم يبق
إلا الآلام والحسرات.

لم يبق إلا الآثام، والأوزار، والتبعات ..

تفنى اللذات ممن ذاق صفوتها من الحرام، ويبقى الإثم والعار

تبقى عواقب سوء في مغبتها لا خير في لذة من بعدها النار

سابعاً : هجرة إلى القبر :

كانت بدايتي عندما قرأت عن سفیان الثوري - رحمه الله تعالى - أنه كان
لديه قبرٌ في منزله يرقد فيه وإذا ما رقد فيه نادى .. (رب ارجعون، رب
ارجعون ..) ثم يقوم منتفضاً، ويقول: ها أنت قد رجعت فإذا أنت فاعل؟

حدث أن فاتتني صلاة الفجر، وهي صلاة لو دأب عليها المسلم لأحس عندما تفوته بضيق شديدة طوال اليوم، ثم تكرر معي الأمر نفسه في اليوم التالي، فقلت لا بد وفي الأمر شيء، ثم تكررت للمرة الثالثة على التوالي. هنا كان لا بد من الوقوف مع النفس وقفة حازمة؛ لتأديبها حتى لا تركز لمثل هذه الأمور، فتروح بي إلى النار، قررت أن أدخل القبر حتى أؤدبها، ولا بد أن ترتدع، وأن تعلم أن هذا هو منزلها ومسكنها إلى ما يشاء الله، وكل يوم، أقول لنفسي دع هذا الأمر غداً، وجلست أبحث في هذا الأمر حتى فاتتني صلاة الفجر مرة أخرى..

حينها قلت كفى، وأقسمت أن يكون حسم هذا الأمر هذه الليلة، وذهبت بعد منتصف الليل، حتى لا يراني أحد وتفكرت، هل أدخل من الباب؟

حينها سأوقف حارس المقبرة، أو لعله غير موجود، أم أتسور السور. إن أيقظته لعله يمنعني، وحينها يضيع قسمي، فقررت أن أتسور السور، ورفعت ثوبي، وتلثمت واستعنت بالله تعالى، وصعدت برغم أنني دخلت هذه المقبرة كثيراً مشيعاً، إلا أنني أحسست أنني أراها لأول مرة، ورغم أنها كانت ليلة مقمرة إلا أنني أكاد أقسم أنني ما رأيت أشد منها سواداً، تلك الليلة كانت حالكة الظلمة.

سكون رهيب، هذا هو صمت القبور... بحق تأملتها كثيراً من أعلى السور، واستنشقت هواءها، نعم إنها رائحة القبور، أميزها عن ألف رائحة، إنها رائحة الحنوط، رائحة بها طعم الموت الصافي، وجلست أتفكر للحظات مرت كالسنين، ماذا بك أيتها القبور، ما أشد صمتك؟! وما أشد ما تخفيه؟! ضحك ونعيم، وصراخ وعذاب أليم.

ماذا سيقول لي أهلك لو حدثتهم، لعلهم سيقولون قول الحبيب ﷺ:
«الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»^(١).

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: الوصايا، باب: هل أوصى رسول الله ﷺ، رقم الحديث: ٢٦٩٧.

قررت أن أهبط حتى لا يراني أحد في هذه الحالة، فلو رأي أحد فإما سيقول: إنني مجنون، وإما أن يقول: إن لدي مصيبة، وأي مصيبة بعد ضياع صلاة الفجر عدة مرات.

وهبطت داخل المقبرة، وأحسست حينها برجفة في القلب.

والتصقت بالجدار، ولا أدري ممن أحتمي .. ومن ماذا ؟ عللت ذلك لنفسي بأنه خشية من المرور فوق القبور وانتهاك حرمتها ، نعم أنا لست جباناً، أم لعلي شعرت بالخوف حقاً !

نظرت إلى الناحية الشرقية، والتي بها القبر مفتوح ، والتي تنتظر ساكنيها.

إنها أشد بقع المقبرة سوادًا وكأنها تناديني مشتاقة إليّ، وجلست أمشي محاذراً بين القبور، وكلما تجاوزت قبراً تساءلت: أشقي أم سعيد ؟ شقي بسبب ماذا؟ أضيع الصلاة، أم كان من أهل الغناء والطرب، أم كان من أهل الزنا، لعل من تجاوزت قبره الآن كان يظن أنه أشد أهل الأرض قوة ، وأن شبابه لن يفنى، وأنه لن يموت كمن مات قبله، أم أنه قال ما زال في العمر بقية؟! سبحان من قهر الخلق بالموت!

أبصرت الممر حتى إذا وصلت إليه ووضعت قدمي عليه؛ أسرع نبضات قلبي، فالقبور يميني ويساري، وأنا أرفع نظري إلى الناحية الشرقية، ثم بدأت خطواتي تهدأ، وبدت وكأنها دهر، أين سرعة قدمي، ما أثقلها الآن! تمنيت أن تطول المسافة ولا تنتهي أبداً .. لأنني أعلم ما ينتظرني هناك.

أعلم فقد رأيت كثيراً ولكن هذه المرة مختلفة تماماً ..

أفكار عجيبة... مهمة خلف أذني...

نعم أسمع مهمة جلية.

وكان شخصاً يتنفس خلف أذني، خفت أن أنظر خلفي، خفت أن أرى أشخاصاً يلوحون إليّ من بعيد .. خيالات سوداء ، بالتأكيد هي وسوسة من الشيطان.

أبصرت القبور المفتوحة، أكاد أقسم للمرة الثانية أنني ما رأيت أشد منها سوادًا، كيف أتتني الجراءة حتى أصل بخطواتي إلى هنا؟ بل، كيف سأنزل في هذا القبر؟ وأي شيء ينتظرنني بالأسفل؟ فكرت بالاكتهاف بالوقوف، ولكنني لم أصل إلى هنا لأقف، يجب أن أكمل.

ولكن لن أنزل إليه مباشرة، بل سأجلس خارجه قليلا حتى تأنس نفسي.. ما أشد ظلمته؟! وما أضيقه!!.

كيف لهذه الحفرة الصغيرة أن تكون حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة - سبحان الله - يبدو أن الجو قد ازداد برودة أم هي قشعريرة في جسدي من هذا المنظر؟! هل هذا صوت الريح، لا أرى ذرة غبار في الهواء، هل هي وسوسة أخرى.

استعدت بالله من الشيطان الرجيم، ليس ريجًا، ثم أنزلت ما على رأسي ووضعت على الأرض، ثم جلست وقد ضمنت ركبتي أمام صدري .. أتأمل هذا المشهد العجيب إنه المكان الذي لا مفر منه أبدًا - سبحان الله - نسعى لكي نحصل على كل شيء .. وهذه هي النهاية .. لا شيء!

كم تنازعنا في الدنيا، اغتبننا، تركنا الصلاة، آثرنا الغناء على القرآن، والكارثة أننا نعلم أن هذا مصيرنا، وقد حذرنا الله تعالى ورغم ذلك تجاهلنا ثم أدت وجهي ناحية القبور، وناديتهم بصوت خافت، وكأني خفت أن يرد علي أحدهم يا أهل القبور، ما لكم؟! أين أصواتكم؟! أين أبناؤكم عنكم اليوم؟! أين أموالكم؟! أين .. وأين؟! كيف هو الحساب؟! أخبروني عن ضمة القبر، أتكسر الأضلاع؟! أخبروني عن منكر ونكير؟! أخبروني عن حالكم مع الدود!

سبحان الله .. نساء إذا قدم لنا أهلنا طعامًا باردًا أو لا يوافق شهيتنا، واليوم نحن الطعام، لا بد من النزول إلى القبر، قمت وتوكلت على الله، ونزلت برجلي اليمين وافترشت ما كان على رأسي ووضعت رأسي، وأنا أفكر، ماذا لو انهال علي التراب فجأة؟! ماذا لو ضم القبر علي مرة واحدة، ثم نمت على

ظهري وأغلقت عيني حتى تهدأ ضربات قلبي؛ حتى تخف هذه الرجفة التي في الجسد، ما أشده من موقف وأنا حي! فكيف سيكون عند الموت؟

فكرت أن أنظر إلى اللحد، وهو بجانبني وأنا والله لا أعلم شيئاً أشد منه ظلمة، ويا للعجب رغم أنه مسدود من الداخل إلا أنني أشعر بتيار من الهواء البارد يأتي منه، فهل هو هواء بارد أم هي برودة الخوف؟!

خفت أن أنظر إليه، فأرى عينين تلمعان في الظلام وتنظران إليّ بقسوة، أو أن أرى وجهًا شاحبًا لرجل تكسوه علامات الموت ناظرًا إلى الأعلى متجاهلني تمامًا، أو كما سمعت من شيخ دفن العديد من الموتى: أنه رأى رجلاً جحظت عيناه بين يديه إلى الخارج وسال الدم من أنفه، وكأنه ضُربَ بمطرقة من حديد لو نزلت على جبل لدكته؛ لتركه الصلاة.

حينها قررت ألا أنظر إلى اللحد فليس بي من الشجاعة أن أخاطر وأرى أيًا من هذه المناظر، رغم علمي أن اللحد خالٍ، ولكن تكفي هذه الأفكار حتى أمتنع تمامًا، وإن كنت جلست أنظر إليه من طرف خفي كل لحظة، ثم تذكرت قول رسول الله ﷺ «إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ»^(١) تخيلت جسدي يرتجف بقوة، وأنا أرفع يديّ محاولاً إرجاع روحي، وصراخ أهلي من حولي عاليًا: أين الطيب؟ أين الطيب؟ ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (الواقعة: ٨٦-٨٧).

تخيلت الأصحاب يحملونني ويقولون: لا إله إلا الله، تخيلتهم يمشون بي سريعًا إلى القبر، وتخيلت صديقًا، أعلم أنه يجب أن يكون أول من ينزل إلى القبر. تخيلته يحمل رأسي، ويطالبهم بالرفق حتى لا أقع، ويصرخ فيهم كعادته، يجري ممسكًا إبريقًا من الماء يناولهم إياه بعدما حثوا عليّ التراب، تخيلت الكل يرش الماء على قبري، تخيلت شيخنا يصبح فيهم ادعوا لأخيكم فإنه الآن يسأل.. ادعوا لأخيكم فإنه الآن يسأل.. ثم رحلوا وتركوني.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته، رقم الحديث: ٤٤٤٩.

وكان ملائكة العذاب حين رأوا النعش قادمًا قد ظهروا بأصوات مفزعة، وأشكال مخيفة، لا مفر منهم، ينادون بعضهم البعض، أهو العبد العاصي؟

فيقول الآخر: نعم، فيقول: أمشيح متروك؟ أم محمول ليس له مفر؟

فيقول الآخر: بل محمول إلينا، فيقول: هلموا إليه حتى يعلم أن الله عزيز ذو انتقام، رأيتهم يمسكون بكتفي ويهزوني بعنف قائلين: ﴿يَتَأْتِيَ الْإِنْسَانَ مَا عَرَّفَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾﴾ (الانفطار: ٦ - ٧) حتى تنام عن الفريضة، أحقير مثلك يعصى الجبار؟! والرعد يسبح بحمده والملائكة من خيفته؟! لا نجاة لك منا اليوم، وأنا أصرخ .. وليس للصراخ مجيب "رب ارجعون، رب ارجعون"، وكأن بصوت يهز القبر، والأرض والسموات، يقول: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠٠) حتى بكيت ماشاء الله أن أبكي، وقلت: الحمد لله رب العالمين، مازال هناك وقت للتوبة، استغفر الله العظيم وأتوب إليه، ثم قمت وقد عرفت قدرتي، وعرفت ضعفي، وأخذت ما فرشته، وأزلت عنه ما بقي من تراب القبر، وعدت وأنا أقول سبحان من قهر الخلق بالموت.

ثامنًا: هجرة غافل :

أنا شاب في أول العمر، أتمنى أن أكون من قوافل التائبين، عمرى يقارب من الواحد والعشرين وقصة توبتي غريبة: وسأقصها عليكم:

كثيرًا ما كان يتحدث الناس عني بأنني عبقرى ومبتكر وذكي الأفكار. وأصبحت أستغل كل هذا في الحصول على الشهوات، وبدأت بالفعل حيث لا أعلم من الإسلام شيئًا إلا القليل مما فرضه علي العيش في بلد إسلامي، وأختي الملتزمة التي كانت كثيرًا ما تنصحنى، وأنا أولي هاربا منها، بل كانت كلماتها لا تنال مني إلا السخرية.

إن الغريب في توبتي أن أسباب المعصية هي أسباب التوبة. كنت مدمنًا لجميع الشهوات ولا يُتَخَيَّلُ ذَنْبٌ إِلَّا وَقَدْ فَعَلْتَهُ، كنت بحق ظالمًا لنفسى، وهذا أقل تعبير عن حالتي بل هو أشمل تعبير.

كنت مُدمنًا لغرف الدردشة "Chat" وكانت تحتل مكانًا كبيرًا من شهواتي خاصة أننا كنا نتحدث عما حرم الله، وكنت أجد معها متعة غريبة، لا أدري لماذا؟!!

ذات يوم تعرفت على فتاة من أمريكا ، كانت في عمر العشرين متزوجة ولها ولد جميل، تعرفت عليها صدفة.

قالت لي: ما اسمك قلت لها اسمي : " محمد " وما كدت أن أقول تلك الكلمة إلا ووجدتها طارت من الفرحة .
وتقول لي : إذن أنت مسلم حقًا .. أنت مسلم.

لا أصدق، أريد أن أعرف عن الإسلام الكثير .. أرجوك لا تتركني كما تركوني أرجوك لدى الآن الأسئلة التي أود أن أسألها أرجوك، قلت في نفسي يا لها من تعيسة تطلب الإسلام من أبعده فرد له ...!!

ولكنني شعرت بها حقًا، إنها أول مرة لي أعيش لحظة أهتم فيها بأمر ديني، فلا أول مرة يكون لي هدف، شعرت بإحساس آخر فأغلقت كل من أتحدث معهم من الفتيات الساقطات.

لأول مرة في حياتي أترك شهوتي لأجل شيء، حتى الآن لا أعلم هذا الشيء، لا أعلم منه إلا اسمه (الإسلام) ، وقلت لعلها تسألني وأجيب مع ياسي التام على قدرتي على الإجابة وبالفعل قالت لي : ما الإسلام؟!!

قلت لها من فضلك ثانية واحدة، دخلت على مواقع إسلامية، وظللت أبحث عن كل سؤال تسأله حتى أنني نجحت في الإجابة على معظم الأسئلة، قالت لي: من هي عائشة؟!!

كنت لا أعلم عنها شيئًا... ظللت أبحث عنها في المواقع الإسلامية، وبينما أنا أبحث أشعر بحماس كبير ورغبة غريبة في مساعدتها، قلت لها أختي: انتظريني أيامًا سأرسل لك كتابًا وغيره .. يعلمك ما الإسلام.

وأنت لا تتصور ما مدى سعادتي من كلمة أختي ... فلا أول مرة في حياتي أنادي فتاة بكلمة أختي...!

لأول مرة أشعر بالطهارة، حتى ذرفت عيناى ، وما نمت ليلتى حتى
ظللت أسأل أختى عن بعض الأسئلة التى سألتنى إياها مثل : هل الحجاب
فريضة أم هو سنة ؟ ...

ذهبت للمكتبة لشراء كتاب إسلامى كما وعدتها ، وقبل الذهاب فوجئت
أنى لا أملك من الأموال إلا قليلا، قلت ماذا أفعل؟! كنت أشعر أن الموت
يسابقنى لها ويجب أن أكون أسرع منه لها قبل أن تموت وتدخل النار... لأول
مرة أحدث نفسى بهذه اللهجة، تعجبت من نفسى!!

ذهبت لأحد أصدقاء السوء كان غنياً جداً، واقتضت منه مبلغاً، كنت
أنوى ألا أردّه ولكن بعد التزامى رددته؛ لعلمى بأهمية رد الدين .. والحمد لله.
واشترت لها كتابين، قرأتهما قبلها، وكنت طليقاً فى الإنجليزية، شعرت
بأن هذا الدين عظيم. واشترت لها زياً إسلامياً جميلاً مثل الزى الذى ترتديه
أختى، لعلمى بصعوبة الحصول على هذه الأزياء الإسلامية هناك واشترت
لها مصاحف قرآن ، وأرسلت لها كل هذا بالبريد السريع الدولى؛ ليصل فى
أقصر فترة ممكنة.

وبالفعل وصل إليها، وقرأت الكتابين، وقالت لى: هذا ما كنت أريد،
ماذا أفعل لكى أدخل الإسلام، حينها لا تتصور ما حدث لى .. بكيت كثيراً ،
وذرفت دموعى، فقالت لى؟ لماذا تبكى؟ فقد كانت تسمعنى وكنت أتحدث
معها "بالمايك" ... قلت لها : لأن ميلادى مع ميلادك، وما فهمت ما أقصد،
ولكنى أخبرتها بأن تردد الشهادتين، وتذهب لتغتسل، وكنت قد سألت عن
هذا من قبل .. لهذه اللحظة، لا تتصور وهى تردد بعدى " أشهد أن لا إله إلا
الله وأن محمداً رسول الله" وكأنى أرددها معها لأول مرة، فلا أتذكر أنى قد
قلتها قبل ذلك.

وقالت لى: ما معناها؟ فأخبرتها أى: أنه لا يوجد إله غير الله الواحد
الأحد فى الكون ، وأن محمداً رسول الله ﷺ . وظللت أتطرق فى شرحها
ولكن العجيب أنى لا أدرى ما هذه الكلمات، وأنا أشرح كل هذه المعانى
التي كانت غائبة عنى ، وأيقنت أن هذه الكلمة لها معان عظيمة.

وقالت : الآن وجدت حياتي، لقد كنت محطمة، وقلبي كسير، حاولت الانتحار خمس مرات وكان زوجي ينقذني، ولكني الآن أشعر بسعادة غامرة وأشعر أنني وجدت نفسي، ووجدت سعادتي، قلت لها: إذن أنت ولدت هذه الليلة، قالت: حقاً.. نعم، قلت لها: وأنا كذلك.. وحكيت لها قصتي، وكيف كنت مسلماً بالاسم فقط، وأنني الآن أشعر بأني ولدت من جديد، قالت: الآن فهمت ميلادي مع ميلادك "ثم قالت إذن ردد وقل: لا إله إلا الله محمد رسول الله يا أخى" قلت لها: نعم "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وشعرت بأني أسلمت من جديد، بل وقمت واغتسلت، واتفقنا أن نتقابل بعد ثلاثين دقيقة، وسمعت المؤذن لصلاة الفجر... فقامت وتوضأت.. وكنت لا زلت أذكر الوضوء من المدرسة، ودخلت مع الإمام وذرفت عيناى الدموع.

شعرت بلذة غريبة كانت ألد بكثير من هذه اللذة التي كنت أتذوقها مع الشهوات... إنها لذة الإيمان حقاً وعدت إليها، وأخبرتني من هى السيدة عائشة رضي الله عنها، وظللت أتعلم منها عن السيدة عائشة، وعن سيدنا محمد ﷺ، وأتفكر في أنني أتعلم الدين ممن كنت سبباً في إسلامها! ومن عمرها في الإسلام لحظات قليلة.

شيء غريب جعلني أذرف دموعي كثيراً.. ووجدتها غيرت اسمها إلى عائشة، وبعد يومين فوجئت بإسلام زوجها أيضاً وأنهم سموا ابنهم أحمد. بكيت بكاءً شديداً، وحمدت الله كثيراً... آه.. لا أستطيع أن أصدق أنني سبب في إسلام ثلاث أنفس، يأتون يوم القيامة في ميزان حسناتي، وأنا ليس لي من الإسلام شيء.

ومنذ ذلك الحين ظللت أتعلم عن الإسلام الكثير، ووجدت في مكتبة أختي الكثير، وظللت أقرأ.. وأقرأ.

فوجدت حالى ينصلح وشعرت بلذة الصلاة، ولذة العبادة، وتركت كل شهواتي، وكل أصدقائي الفاسقين، وظللت أردد "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله"

تحولت من البحث عن فاسقة، أو لعبوب أتحدث معها أو أقابلها... إلى البحث عن كل من يريد الإسلام، ويريد أن يعرف عنه شيئًا... ووجدت الكثير والكثير ممن يريد المعرفة عن الإسلام.. وكلما عرفت أحدًا، أرسلت له الكتابين نفسيهما مع نسخة من القرآن الكريم؛ حتى أسلم على يدي ثلاثة آخرين: اثنان من أمريكا وفتى من بريطانيا، وفرحت بذلك كثيرًا، وكانت تلك الأمريكية (أم أحمد) تساعدني في الحديث معهم، حتى إنها أقنعت أختها بالإسلام، والحمد لله رب العالمين...

وأخيرًا لا أستطيع أن أخبرك عن مدى سعادتي بالإسلام، أنا أسلمت مع هؤلاء حقًا، وعلمت أن الدعوة فرض عين في ظل هذا الانفتاح، وكون العالم كله قرية صغيرة، فيجب على المسلمين العمل لدينهم الذي طالما ظلموه، وهو أغنى الأغنياء عنهم، ونحن أفقر الفقراء إليه.

تحولت دفعة حياتي تمامًا... وأصبح كل همى الدعوة إلى الله تعالى، والعمل له، وأرجو من الله رب العالمين أن يرحمني وأن ييسر لي ويثبتني... إن الدعوة إلى الله تعالى رزق يسوقه الله إلى العبد، وأنتى أشعر أنني مرزوق في الدعوة رزقًا كبيرًا.. وأشعر بأن رزقي واسع في هذا الأمر.

الغاية

لما كان للهجرة من شأن كبير في الإسلام بما فيها من معان عميقة في الوجدان والعقيدة، فبها فصل بين الحق والباطل ، وبين الشرك والإيمان ، فهي الحد الفاصل بين المجتمع الجاهلي بتقاليده وعاداته الظالمة وبين تأسيس دولة إسلامية ضربت بأركانها مشارق الأرض ومغاربها بنظام إلهي لا يعرف الجور بل يقوم على الحق .

لقد كانت الهجرة الإسلامية من بلاء الكفر وعذاب أهله إلى عز الإسلام ونصره ، ولم تكن الهجرة هي مما ابتدعه الإسلام فقط بل هي سنة لعدد من الأنبياء مثل سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي قال: ﴿ وَأَعْتَزَلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ (مريم: ٤٨) فتنقل بين العراق ، مصر ، فلسطين ، الحجاز ، وكذلك أيضًا كان رسول الله موسى عليه السلام والذي تصادف ذكرى هجرته مع بني إسرائيل العاشر من محرم، حيث قال الله تعالى في شأنه: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾ (طه: ٧٧).

إن هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة إلى المدينة سبقتها هجرة معنوية، وهي هجرة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتركهم دنس القول إلى طهارة الكلمة، وهجروا ظلام الجهل إلى نور الحقيقة واليقين، هجروا الهبوط إلى العلو والسمو، هجروا البطش والإيذاء إلى المعاونة على البر والتقوى ، هجروا باللسان من الكلام في حق الناس إلى تلاوة القرآن الكريم، وتحولوا من التغني بالأشعار إلى التدبر بالذكر الحكيم ، هجروا التلصص على خلق الله إلى التفكير في معجزات الله صلى الله عليه وسلم ورؤية الحق والخير والجمال ، والنظر إلى أسرار الكون من حولهم.

هجروا بقلوبهم الحقد والحسد إلى الحب والخير ، هجروا المكر السيئ إلى التفكير في بناء عالم إسلامي جديد، وعرفوا جميعًا أن وطن المؤمن هو الإسلام، وليس الوطن أرضًا ينزل به ، وإنما وطنهم الحقيقي هو العقيدة الإسلامية ، وليس بلدة محدودة بأسوار ، إن وطن المؤمن فسيح ؛ حيث الكرامة والعزة ، فإذا لم تكن العقيدة هي الوطن فلا قيمة لأي وطن آخر .

إن الهجرة النبوية الشريفة هي أكبر الدروس التي يتعلم المسلم منها قيمة الصبر والتوكل على الله تعالى والثقة به ﷺ والأخذ بالأسباب ، كما أنها تعلمنا كيف نكون على يقين تام بأن الله ﷻ سيخرجنا من حالنا هذا ، كما أخرج رسوله الكريم من ظلام الجاهلية إلى نور الإسلام .

إن الهجرة النبوية المشرفة تقودنا إلى كيفية تحقيق الالتحام فيما بين المسلمين، والتعاون والثبات أمام الأزمات والحرص الدائم على أن يكون هدفنا واحدًا ، نسعى إليه دائمًا من أجل الوصول إليه وأن نتخلى عن روح العصبية التي تؤدي بنا إلى الانقسام ، ومن ثم إلى الانهزام الذي نجني ثماره مرّةً ، ولا يخفي علينا ما كان بين المهاجرين والأنصار من تلاحم وإيثار، وهم ليسوا أبناء بلد واحد، وإنما قد جمعهم الإسلام؛ ليوحد كلمتهم، وهدفهم في الحياة ، وهو بناء دولة إسلامية عالية الشأن .

ولم تنسَ الهجرة النبوية المرأة وما لها من مكانة في المجتمع المسلم ، وأنها أول طريق التقدم، فهي من تخرج للمجتمع لبنات بنائه وهي من تقوم بتشكيل تلك اللبنة إما صلبة ترفع راية المجتمع أو رديئة تهوي بالمجتمع إلى مدارك السقوط والهاوية وذلك من خلال الدور الذي أدته أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما عندما صمدت أمام قادة قريش، وأبت أن تفضي سر رسول الله ﷺ، علاوة على ما قامت به أثناء الرحلة العظيمة من حرصها على أن تقدم المؤمن للرسول الكريم ، وتذهب إليه بالطعام والشراب .

كما لم تنس الهجرة النبوية المشرفة ما للشباب من دور عظيم في الارتقاء بالمجتمع والنهوض به ، وذلك من خلال إشراك سيدنا علي بن أبي طالب في الهجرة، حين نام ﷺ في مكان الرسول الكريم ﷺ، وهو يعلم أن قريشًا ستهوى عليه ؛ ولكن إيمانه بالدعوة ثبته وشجعه حتى أدى دوره على أحسن وجه ، ولذلك فإن هدف الدين الإسلامي هو العمل على تنمية طاقات الشباب، ودفعهم إلى الأمام ، واستغلال ما بداخلهم من طاقة عظيمة تمكنهم من تغيير وضع الأمة دائمًا إلى الأفضل والأفضل .

إن مقاصد الهجرة عديدة ، ولكن أي هجرة هي المقصودة ؟! وما المراد
بالهجرة الصحيحة كما في الكتاب والسنة !؟

لقد روى ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ الْفَتْحِ «لَا هِجْرَةَ
بَعْدَ الْفَتْحِ ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَبَيْتَةٌ وَإِذَا اسْتَنْفِزْتُمْ فَانْفِرُوا»^(١) ، وقال أيضا: «قَدْ
مَضَتْ الْهِجْرَةُ بِأَهْلِهَا»^(٢).

وهذا يعني أن كل دار صارت دار إسلام، فلا هجرة منها، ولكن جهاد
ونية، فبقي الجهاد، والمقصود به: جهاد النفس، وجهاد الكفار المعتدين.

والواضح من الحديث الشريف أن هناك مقاصد أخرى للهجرة وأنواعا
متعددة، تغير حياة المسلم إلى الأفضل كما غيرت الهجرة النبوية الأمة قبل
ذلك، إنها الهجرة في مساهما، ولكن مردها عند الله ورسوله وإلى الله ورسوله ،
فإن كانت كذلك فإنها تذهب بالمسلم إلى القوة من الضعف ، وتسافر به من
الوهن إلى السمو والرقى ، وتهاجر به من الضلال إلى الهدى، ومن الشك إلى
اليقين ، ولأهمية هذه الهجرة كان لا بد أن نفهم مقاصدها وطرقها وغايتها.

إن باب الهجرة باق مفتوح ما بقي باب التوبة مفتوحا ، وباب التوبة
لا يُسَدُّ إلا بطلوع الشمس من مغربها، فالهجرة لم تنته بعد، وإن انتهت
باعتبارها حدثا، فهي باقية ببقاء الأمة إلى قيام الساعة، وأعلى مراتبها الهجرة من
الكون إلى المكوّن، وأول مراتبها الهجرة من الكفر إلى الإيمان، ومن الضلال إلى
الهدى، ومن المعصية إلى الطاعة، يقول الرسول الكريم ﷺ: «إنها ستكون
هجرة بعد هجرة»^(٣)، وقال ﷺ: «لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا قُوتِلَ الْكُفَّارُ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: وجوب النفير، وما يجب
من الجهاد والنية، رقم (٢٨٢٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: المبايعة بعد فتح مكة، رقم (١٨٦٣)

(٣) أخرجه أبو عروبة البصري (معمر بن راشد) في الجامع، (١١ / ٣٧٦).

(٤) أخرجه النسائي في سننه، كتاب البيعة، باب: ذكر الاختلاف في انقطاع الهجرة،
رقم (٤١٧٢).

ولا تكون الهجرة إلا بتحقيق مفرداتها والوصول إلى معانيها من هجر رفقاء السوء ، وقرناء الغفلة والمعاصي، وخلان الرذيلة والمنكر، ومصاحبة الصالحين المجددين للدين والإيمان، والالتحاق بركب الصالحين الذين تظهر عليهم علامات الصلاح، وسهات الاستقامة.

وهجر حياة الفردية، وعيشة الانعزال والحياد؛ ومعاشة أحوال الأمة التي تعيش بها، ومعاناة همومها والتطلع إلى آمالها، وإيثار المصلحة الجماعية، والسعي في الصالح العام، والاندماج في سلك جماعة المؤمنين، المجاهدين، المتمسكين بالحق المدافعين عنه، الذين يغارون على ثوابت الأمة ومقدساتها، ويقومون بواجب نصره الدين، ويحاولون بناء مشروع الأمة المنهار، وإعلاء رايته، ورفع قيمتها، واستعادة مكاسب الهجرة، فحظ المؤمن من رضوان الله تعالى هو الذي فاز به المهاجرون الأول، والذي ينتظر بشرط أن يفعل ما فعلوا من هجرة ونصرة، وجهاد بالنفس والمال، وبكل الإمكانيات .

كما لا ننسى أن من أهم معاني الهجرة: هجر الظالمين الذين لا يتقبلون الإسلام ولا يتصحون له، وهجر مخططاتهم ومناهجهم، وبرامجهم المعارضة للإسلام المبعدة له عن واقع الحياة المسببة الذلة والاستسلام، والانزهاج والتبعية، وترك الميل والركون إليهم ومموالاتهم، وهجر السكوت عن جرائمهم، وحرهم الشعواء على الإسلام، واستضعافهم وإقصائهم للمسلمين الصادقين، وهجر أنظمتهم الفاسدة وتكتلاتهم الضالة، وأحزابهم العلمانية التي أظهر الواقع أنها تطمس الدين، وتخذل المسلمين، وتوالي الكافرين، وتُعادي الصادقين، وتعمي عليهم برامجهم ومشاريعهم، وهجر الراحة، والخمول، والتفاسد، والبخل، والترفع إلى التضحية من أجل هذا الدين بالنفس والمال والأهل، واستلهام روح الامثال والتضحية التي كانت تميز الصحابة في كل مرحلة من مراحل الإسلام .

وهذه أنواع من الهجرات الباقية التي يقدر عليها كل مسلم، وما فيها من نصب ولا تعب، ولا تترك آلاما في النفوس، ولا خسارة في الأموال، ولا وحشة في الأهل ولا غربة في الأوطان، فإذا تمسك المسلمون بهذه المعاني

وساروا على خطواتها؛ ازداد إيمانهم وتماسك بنيانهم، وقويت شوكة الإسلام وتجمع شمل الأمة المُمَرِّق، وعادت لها عزتها المفقودة، وطهرت الأرض من الفساد والمفسدين، واندحر الباطل وأهله، وعادت الحاكمية لله الحق، وتركت قوانين الكافرين، وحررت أراضي المسلمين من المتسلطين، وحررت النفوس من الجبابة الطغاة، ورجعت الكلمة للصالحين الراشدين، وَرُفِعَت راية الحق عالية، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله تعالى .

ولكن كيف لنا أن نسير على طريق الهجرة؟! لا بد لكل مسافر من زاد له يعينه على سفره ويقوى به، وزاد الهجرة هي خطواتها ، من: الإيثار بالله تعالى، وملائكته، ورسوله، وكتبه، والقدر خيره وشره، واليوم الآخر. والإخلاص ، والصبر ، والتوبة ، والتقوى والدعاء . وكل ما أمرنا الله ﷻ به ، عن عمر ابن الخطاب ؓ "قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فَقَالَ خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَيَعْمَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فَقَالَ خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَيَعْمَلُ أَهْلُ النَّارِ يَعْمَلُونَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَيَمِمْ الْعَمَلُ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُدْخِلُهُ رَبُّهُ الْجَنَّةَ وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلُهُ رَبُّهُ النَّارَ»^(١).

إن الهجرة إلى الله تعالى طريق طويل وشاق ، مليء بالمصاعب والمتاعب ، ولكن ثمارها هو الجنة التي تستحق كل الصبر على المكارهِ والشدائد .

﴿إِنَّ الْأَمْتَقِينَ فِي جَنَّتٍ وَعَيُونَ ﴿٤٨﴾ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينَ ﴿٤٩﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٠﴾ لَا يَمْسُهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٥١﴾﴾ (الحجر: ٤٥-٤٨).

(١) أخرجه الإمام مالك في موطئه، كتاب : الجامع ، باب: النهي عن القول بالقدر ، رقم الحديث: ٣٣٣٧ .

وقال الله تعالى: ﴿يَعْبَادِ لَا حَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِقَابِلِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَنجَاءٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ (الزخرف: ٦٨-٧٢).

وقال الله تعالى أيضا: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَنجَاءٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعْنَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلًّا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾ (الدخان: ٥١-٥٧).

وقال الله تعالى: ﴿الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتومٍ ﴿٢٥﴾ خِتْمُهُمُ مِّسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَرَاجُئُهُم مِّن نَّسِيمٍ ﴿٢٧﴾ عِينًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (المطففين: ٢٢-٢٨).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

قائمة المراجع

- ١- الأصبهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، مكتبة دار السعادة (مصر) ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
- ٢- الألباني، أبو عبد الله محمد ناصر الدين : ضعيف الجامع الصغير ، المكتب الإسلامي ، د . ت .
- ٣- الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج : بستان الواعظين ورياض السامعين ، دار مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩ / ١٩٩٨ م .
- ٤- الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج : صفة الصفوة ، دار الحديث (القاهرة) ١٤٢١ - ٢٠٠٠ م .
- ٥- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم ، مصنف ابن أبي شيبة ، مكتبة الراشد ، الرياض ، د . ت .
- ٦- ابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد العكبري : الإبانة الكبرى ، دار الراجعية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .
- ٧- ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد : صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ - ١٩٩٣ م .
- ٨- ابن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال : مسند الإمام أحمد ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م .
- ٩- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب : إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، مكتبة المعارف ، الرياض : المملكة العربية السعودية ، د . ت .
- ١٠- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب : مدارج السالكين بين منازل " إياك نعبد وإياك نستعين " ، دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .
- ١١- ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد : رسالة العبودية ، مطبعة النهضة (القاهرة) ، ١٣٨ هـ .
- ١٢- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: السيرة النبوية، من مؤلفه (البداية والنهاية) دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م
- ١٣- ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : تفسير القرآن الكريم ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية : ١٤٢٠ - ١٩٩٩ م .

- ١٤ - ابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب : السيرة النبوية ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي (مصر) الطبعة الثانية ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م ،
- ١٥ - ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني : سنن ابن ماجه ، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابي الحلبي ، د. ت .
- ١٦ - أبو عروة البصري ، معمر بن أبي عمرو : الجامع ، المجلس العلمي بباكستان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣ هـ .
- ١٧ - البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله : الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه (صحيح البخاري) دار طوق النجاة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ .
- ١٨ - البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي : السنن الكبرى ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ .
- ١٩ - الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك : مكتبة مصطفى البابي الحلبي (مصر) ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م
- ٢٠ - الحنبلي ، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد : كشف الكربة في وصف أهل الغربية ، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م .
- ٢١ - السجستاني ، أبو داود سليمان بن الأشعث : سنن أبي داود ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، د. ت .
- ٢٢ - الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن : مسند الدارمي (سنن الدارمي) دار المغني للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ - ٢٠٠٠ م .
- ٢٣ - الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير : المعجم الكبير ، مكتبة ابن تيمية القاهرة ، الطبعة الثانية ، د. ت .
- ٢٤ - الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير : الروض الداني (المعجم الصغير) المكتب الإسلامي ، دار عمار ، بيروت ، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ - ١٩٨٥ .
- ٢٥ - الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير : المعجم الأوسط ، دار الحرمين (القاهرة) ، د. ت .

- ٢٦ - عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، القاهرة، دار الحديث ١٩٨١م.
- ٢٧ - عبد الصمد، محمد كامل: الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء- الدار المصرية اللبنانية - القاهرة، ١٩٩٨م.
- ٢٨ - الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد : إحياء علوم الدين ، الناشر : دار المعرفة ، بيروت ، د.ت .
- ٣٠ - فريد ، أحمد : تزكية النفوس ، دار العقيدة للتراث ، الإسكندرية، ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣م .
- ٣١ - القضاعي ، أبو عبد الله محمد بن سلامة : مسند الشهاب ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .
- ٣٢ - الكيلاني، ماجد عرسان: أهداف التربية الإسلامية، دار القلم، الطبعة الأولى، د.ت .
- ٣٣ - النسائي : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب : السنن الكبرى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
- ٣٤ - ابن مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر : موطأ ابن مالك ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م
- ٣٥ - المنذري ، عبد العظيم بن عبد القوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ .
- ٣٦ - المحاسبي ، الحارث بن أسد : آداب النفوس ، دار الجليل ، بيروت، لبنان ، د.ت
- ٣٧ - المسند ، محمد عبدالعزيز : قصص التائبين ، دار الكتاب ، القاهرة، د.ت .
- ٣٨ - مسلم، بكر إسماعيل : أسماء الله الحسنى - آثارها وأسرارها - دار المنار - القاهرة ، د.ت .
- ٣٩ - مسلم ، ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (صحيح مسلم)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، د.ت .
- ٤٠ - الموصلي ، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى : مسند أبي يعلى ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ - ١٩٨٤ م .
- ٤١ - الموسوعة الحرة ، موسوعة ويكيبيديا : نبذة عن " يوسف إسلام " د.ت .

السيرة الذاتية

لفضيلة الدكتور/ أحمد عبده عوض

المؤهل:

- حصل على الماجستير والدكتوراه في «الدراسات اللغوية والإسلامية» من عام (١٩٨٥ إلى عام ١٩٩٢)، من كلية التربية «قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية» بجامعة طنطا، وعمل معيدًا، ومدرّسًا مساعدًا، ثم مدرّسًا، ثم أستاذًا بالجامعة ذاتها.
- أشرف على عشرات الرسائل في الماجستير والدكتوراه داخل مصر وخارجها.
- عمل أستاذًا بجامعة «أم القرى» بمكة المكرمة في الفترة من (١٩٩٥م إلى ٢٠٠٠م)، وأثناء ذلك كانت له برامج دينية في إذاعة القرآن الكريم بمكة المكرمة، ومشاركات في الصحف السعودية، ومحاضرات في نادى مكة الثقافي الأدبي .

التخصص:

- أستاذ العلوم اللغوية والإسلامية .
- داعية وكاتب إسلامي - عضو اتحاد الكتاب المصري - عضو جمعية حماة العربية - محاضر بمعهد الإذاعة والتلفزيون .
- متحدث في البرامج الدينية في إذاعة القرآن الكريم، وفي قنوات التلفزيون المصري والعربي الأرضية والفضائية .

الأنشطة:

- يشارك في المؤتمرات اللغوية والإسلامية والتربوية داخل مصر وخارجها.
- يشارك بدور بارز في الدعوة الإسلامية في الكتابة، في المجلات والصحف، وفي اللقاءات اليومية والأسبوعية الثابتة في المساجد .
- يشارك في دورات تدريب الأئمة والخطباء، وفي دورات إعداد القيادات.
- المشاركة مع الهيئات الثقافية والدينية في الموضوعات والقضايا التي تعالج مشكلات الشباب، وفي المسابقات الثقافية والدينية، وفي إلقاء خطبة الجمعة

على مدى ثلاثين عامًا متواصلة في الموضوعات تتصل بقضايا التثبيت والإيمان
ومواجهة مشكلات الحياة .

اهتمامات:

- ١- الكتابة الإسلامية والتأليف .
- ٢- العناية بدراسة القضايا الإسلامية .
- ٣- العناية بتأصيل الفكر الإسلامى .
- ٤- الدفاع عن اللغة العربية، وبيان أهميتها للدين الإسلامى .
- ٥- رصد الأخطاء اللغوية، وتشخيصها، والتصدي لعلاجها .
- ٦- العناية بقضايا التربية الإسلامية القرآنية .
- ٧- بيان وسطية الإسلام وسماحته، ويسره، واعتداله، مناسبته لظروف الناس
وأحوالهم، وتحبيب الناس فى الإسلام .
- ٨- تذكير الناس بورع السلف، وكيفية محاسبة النفس، وتصفية أعمال القلوب،
وكيفية التعرف إلى الله عز وجل .

اللهم اجعل هذا خالصًا لوجهك الكريم، وتقبله منا يا رب العالمين

المؤلفات المنشورة

- ١- فنون اللغة (رؤية فنية، ملامح قرآنية) - مركز الكتاب للنشر، بالقاهرة .
- ٢- التقوى في القرآن الكريم (دراسة لغوية تفسيرية إحصائية)، دار الصحابة بطنطا .
- ٣- العدل في القرآن الكريم (بين العلم والكون والإيمان)، المكتبة القيمة بالقاهرة .
- ٤- الإشارات العلمية في القرآن الكريم (بين العلم والكون والإيمان)، المكتبة القيمة بالقاهرة .
- ٥- فضل التحدث باللغة العربية، والالتزام بها، مركز الكتاب للنشر، القاهرة.
- ٦- الموت حقيقة منسية، مركز الكتاب للنشر، القاهرة.
- ٧- مداخل اللغة العربية - دار الندى للنشر .
- ٨- معالم شهر الصيام - مشترك - مركز الكتاب للنشر .
- ٩- قضايا البيئة من منظور إسلامي - مشترك - دار الندى للنشر .
- ١٠- تحقيق مخطوطة (الفرائد والقلائد) للإمام الثعالبي - مشترك .
- ١١- تحقيق مخطوطة (غور الأمور) للحكيم الترمذى - مشترك .
- ١٢- تحقيق مخطوطة (الصراط المستقيم) للفيروز أبادى - مشترك .
- ١٣- الزواج بين الدين والطب - مشترك .
- ١٤- المخدرات بين الدين والطب - مشترك .
- ١٥- نورانيات سورة يوسف عليه السلام .
- ١٦- نورانيات سورة التوبة .
- ١٧- تعليم اللغة العربية بين الفروع والفنون .
- ١٨- صفات أهل القرآن الكريم .
- ١٩- دراسات في علوم القرآن الكريم .
- ٢٠- تحقيق مخطوطة (بحر الكلام في علم التوحيد) .
- ٢١- تحقيق مخطوطة (تاريخ المساجد الثلاثة) .

- ٢٢- تحقيق مخطوطة (الدرّة الفاخرة) .
- ٢٣- تحقيق مخطوطة (لطائف أهل الإلهام) .
- ٢٤- تحقيق مخطوطة (مسائل القرآن للرازي) .
- ٢٥- أدب الطفل العربي رؤية إسلامية .
- ٢٦- الإعداد لمعجم عن الإمام النورسي .
- ٢٧- الأخطاء الشرعية في الأمثال العامة .
- ٢٨- الخط في التراث العربي الإسلامي .
- ٢٩- الإسلام والبعث الحضاري .
- ٣٠- العقيدة والسلوك والانفصام بينهما .
- ٣١- التسامح في الإسلام (صور ومقابلات) .
- ٣٢- الوسطية والاعتدال في المنهج الإسلامي .
- ٣٣- طاعة الله ورسوله الكريم وأولى الأمر .
- ٣٤- أصول المنهج العلمي عند العرب والمسلمين .
- ٣٥- قراءة تأملية في فكر الإمام الغزالي .
- ٣٦- دور المضمون الإعلامي في النهضة الثقافية للأمة الإسلامية .
- ٣٧- اللغة العربية جامعة للفكر العربي والإسلامي .
- ٣٨- قضايا إيمانية حول أسماء الله الحسنى .
- ٣٩- أسماء القرآن الكريم .
- ٤٠- التربية الإيمانية في القرآن الكريم .
- ٤١- سبيل الوصول إلى بلاغة الرسول ﷺ (ثلاثة أجزاء) .
- ٤٢- المخاطر منجيات ومهلكات .
- ٤٣- خواطر قرآنية إعجازية .
- ٤٤- تجليات الإيمان في حياة المسلم .

- ٤٥ - سمات المنهج العلمى والإعلامى فى الإسلام .
- ٤٦ - القراءة العربية مدخل قرآنى .
- ٤٧ - الكتابة العربية مدخل قرآنى .
- ٤٨ - تدريس التربية الإسلامية .
- ٤٩ - الرسول ﷺ فى القرآن الكريم .
- ٥٠ - آداب المعاملات فى الإسلام .
- ٥١ - الأخطاء اللغوية، وخطورتها فى التحدث والكتابة .
- ٥٢ - موجبات الرحمة - مشترك .
- ٥٣ - عزائم المغفرة - مشترك .
- ٥٤ - أنوار المنان فى سيدة آى القرآن .
- ٥٥ - حوار الحضارات والأديان فى الميزان .
- ٥٦ - الحوار فى الإسلام ودوره فى الدعوة والتربية والثقافة .

سلسلة لقاء الإيمان

اقرأ في هذه السلسلة :

- الأدعية الجامعة
- أسرار وأنوار
- في صحبة الأحاديث القدسية
- في رحاب الرحمن (المسافرون إلى الله)
- التجارة الربحية (المجاهدة والتجارة مع الله)
- من الهداية إلى الثبات
- وتزودوا (الاستقامة والإنابة) .
- الأدوية النبوية الجامعة
- الأدوية الإسلامية الجامعة
- خير الزاد في صلاح العباد
- الإسلام والبعث الحضارى
- فاسألوا أهل الذكر (فتاوى مبسطة)
- المحمديات (في ظلال أخلاقه ﷺ)
- نصره رسول الله ﷺ
- مع الله (رحلة اليقين)
- ففروا إلى الله (الموقظات)
- الذين يبلغون رسالات الله (في معية الأنبياء)
- سبحانه (ويأبى الله)
- وكيف تكفرون؟ (معية الإيمان والعلم والمحبة)
- هذا ذكر (سورّ وإعجاز)

- آداب ومعاملات
- ليس منا
- واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله (رحلة الحياة)
- لعلك ترضى (ولسوف يرضى)
- النقاء والبقاء
- المهاجرون إلى الله

كتب جديدة للمؤلف (منشورة ، جاهزة للنشر ، قيد النشر)

- ١- ليالي الفضل في القرآن الكريم (مشترك) .
- ٢- إرشاد الناسك إلى أداء المناسك .
- ٣- تفسير سورة الإخلاص ، والمعوذتين .
- ٤- تفسير سورة المسد .
- ٥- أيام الفضل .
- ٦- من فيض الإيمان .
- ٧- الإيمان حب و يقين .
- ٨- طعم الإيمان .
- ٩- تلقيح الإيمان .
- ١٠- النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم .
- ١١- في رحاب القرآن الكريم .
- ١٢- في رحاب الإيمان .
- ١٣- ارتفاع الهمة .
- ١٤- مع الله .
- ١٥- البيان في تلاوة القرآن (قواعد الأداء ، والتجويد) .
- ١٦- أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية .
- ١٧- التكافل الاجتماعي والإغاثة .
- ١٨- فقه الحوار في السنة النبوية (مع المسلم والآخر) .
- ١٩- دعاء العارفين .

- ٢٠- تفسير سورة الإسراء .
- ٢١- المهاجرون إلى الله .
- ٢٢- موسوعة آداب الثناء على الله .
- ٢٣- ويأبى الله .
- ٢٤- ولا تيأسوا .
- ٢٥- أشواق إلى الحرمين .
- ٢٦- البيعة مع الله تعالى .
- ٢٧- التكاليف والأوراد .
- ٢٨- مفتاح السعادة ومخ العبادة (مشترك) .
- ٢٩- الصيام .. علو الهمة ، واستقامة الأمة .
- ٣٠- ينابيع الخير .
- ٣١- تجليات الإيمان في حياة المسلم .
- ٣٢- حمية الجاهلية .
- ٣٣- ففروا إلى الله .
- ٣٤- الفرج بعد الشدة .
- ٣٥- ابحث عن الصادقين .
- ٣٦- رحلة التفاؤل والتشاؤم .
- ٣٧- رحلة الحجيج (خمسة أجزاء) .
- ٣٨- المحكمات والمتشابهات في القرآن الكريم .
- ٣٩- الشبائل المحمدية
- ٤٠- مجاهدة فتن الشيطان .

برامج دينية جديدة بفضل الله - عز وجل -

- | | |
|--------------------------|------------------------|
| قناة الناس / قناة البركة | ١) صباح الإيمان |
| قناة البركة . | ٢) مساء الإيمان |
| قناة الحافظ . | ٣) فهل من مذكر |
| قناة النجاح . | ٤) ذلك هدي الله |
| القناة الأولى والثانية . | ٥) فقه المرأة المسلمة |
| قناة الشباب . | ٦) السابقون إلى الله |
| قناة الصحة والجمال . | ٧) دعاء وشفاء |
| قناة الصحة والجمال . | ٨) مناجاة |
| قناة البدر الفضائية . | ٩) المسابقة القرآنية |
| | العالمية للقرآن الكريم |

البرامج المرئية والمسموعة في أجهزة الإعلام

- ١- برنامج (لقاء الإيمان) في القناة السادسة على مدى أعوام على الهواء مباشرة .
- ٢- برنامج (أسرار وأنوار) قناة المحور الفضائية ٢٠٠٤ م ولا يزال يعاد حتى الآن.
- ٣- برنامج (فاذكروني أذكركم) القناتان الأولى والثانية ٢٠٠٣-٢٠٠٤ م .
- ٤- برنامج (في رحاب القرآن) قناة السفر العربي الفضائية ٢٠٠٥ م .
- ٥- برنامج (في نور الأحاديث القدسية) الفضائية المصرية ٢٠٠٥ م .
- ٦- قناة التنوير: جنود الله ٢٠٠٥ م .
- ٧- برنامج (مفاهيم إيانية) الفضائية السودانية ٢٠٠٥ م .
- ٨- برنامج (من آيات الرحمن) القناة الثقافية ٢٠٠٤ م .
- ٩- برنامج (بلاغة الرسول ﷺ) إذاعة القرآن الكريم المصرية على مدى سنوات عديدة .
- ١٠- برنامج (حديث من القرآن الكريم) إذاعة القرآن الكريم السعودية .
- ١١- برنامج (عطاء الإسلام) القناة الثالثة من ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٤ م وبرنامج (حديث الجمعة).
- ١٢- برنامج (الفتاوى) في قنوات: اقرأ، المحور، دريم، الثقافية .

١٣- برنامج (في نور القرآن الكريم) القناة الثانية .

١٤- برنامج (المجلة الإسلامية) القناة الأولى .

١٥- برنامج (مع الله) و (فضفضة إيمانية) و (صباح الإيمان) في قناة الناس .

١٦- تسجيلات صوتية ومرئية في شركة صوت القاهرة .

١٧- عدة إصدارات صوتية تتجاوز الخمسين، والله الحمد .

• سلسلة المحمديات شركة النور الإسلامية

• سلسلة ففروا إلى الله شركة النور الإسلامية

• سلسلة موقظات شركة ذى النورين

• سلسلة داعى الله شركة عمران للتسجيلات الإسلامية

١٨- أكثر من ستين كتاباً شرعياً مطبوعاً منشوراً داخل مصر وخارجها .

١٩- أمسيات دينية وخطبة الجمعة في إذاعة القرآن الكريم، وبرنامج (تقديم التلاوة) في إذاعة القاهرة (البرنامج العام) .

فضلاً عن جهد متواضع في نشر الدعوة الإسلامية على مدى ثلاثة عقود، والله الحمد، وأحتسب الأجر من الله تعالى، وأرجو كرم ردكم علىّ.

نفع الله بكم، وشرح الله صدوركم، وأدام عليكم نعمته وحفظه، وجعلكم من أسباب تبليغ الرسالة ونشر الإسلام ﴿ وَيَأْتِيَ اللَّهُ الْإِنسَانَ الْآخِرَ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ﴾ .

آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أحمد عبده عوض

الداعية والمفكر الإسلامى

الهواتف : ٠١٠٢٣٥٠٤٠٤ - ٠١٠٣٩٢٠٤٥٤

٠١٠٢٤٢٨٣١٣ - ٠١٦٦٨٧١٦٥٦

٠١١٦٥٢٦٢٦٩ - ٠١٠٨٦٦٤٥٣٦

٠١٠٤٥٤١٨٧٤ - ٠١٠٧٤١١٣٥٣

جمهورية مصر العربية